



المنصر

فِي ظِلَالِ

حركة الإمام محمد بن عبد الوهاب

عبد الله الحامد

كتاب الشهر (٦)

جماد الثاني ١٣٩٩ هـ - مايو ١٩٧٩ م

النادي الأدبي بالرياض

المملكة العربية السعودية - الرياض ص ٣٦٥٩

ن ٦٦٦٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذا الكَتَيْبُ قسم مستل من رسالة تتناول الشعر في الجزيرة العربية ونجد والحجاز والأحساء والقطيف ، منذ قيام حركة الإمام محمد بن عبد الوهاب حتى منتصف القرن الرابع عشر ، وهو محاولة لتأريخ هذا الشعر والوقوف على أبرز سماته وظواهره ، في تلك الفترة التي جار عليها بعض الباحثين ، فاعتبروها امتدادا لعصور الانحطاط ، ضحالة وركاكة وضعفا . وأرسلوا بعض الأحكام المَعَمَّمة التي نتجت عن تطبيق المذاهب النقدية الحديثة كاملة ، دون مراعاة لظروفه وأجوائه ، وهي المقاييس التي لو طبقت على أدبنا العربي في أزهى عصوره ، لحولته إلى رماد لا خير فيه .

وقد حاول البحث أن يكشف جوانب مضيئة في هذا الشعر ، فيها قوة ، جدة ، وسمات أخرى تميز هذا الشعر لا توجد إلا في الأدب الحي الذي يواكب الحركات الإصلاحية الدينية والسياسية .

على أن هذه القوة وتلك المزايا نسبية عندما تقارن هذا الأدب بالأدب في أنحاء الجزيرة الأخرى . أو يقارن بين الشعر

قبل الشيخ وبعده وكيف انتقل طفرة من عامي إلى فصيح •

وقد حاول البحث الوقوف على سمات الشعر خلال فترة تمتد قرابة قرنين ، منذ قيام محمد بن عبد الوهاب بالدعوة ، في منتصف القرن الثاني عشر ، إلى منتصف القرن الرابع عشر ، فتحدث عن أبرز الشعراء ، ودرس شعرهم ، وعني بدراسة ما تيسر من شعر خصوم حركة الإمام كعثمان بن سند ، وتتبّع شعر العلماء الذين كانت شهرتهم في العلم ، إلا أنهم شاركوا في رسم ظواهر الشعر كعبد اللطيف آل الشيخ •

د. عبد الله الحامد

الأستاذ المساعد في قسم الأدب

كلية اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الرياض ١٥/٨/١٣٩٩ هـ

الفصل الأول

المَوْضُوعَات

١ شرح أفكار الدعوة

أول ما يطالعنا من أغراض الشعر ، شرح الدعوة وأهدافها ، سواء في قصائد موجهة إلى معين ، أم قصائد عامة توجه إلى الناس ، ولآل الحفطي في ذلك دور بارز ، فقد نظم أحمد أرجوزة يشرح فيها فكرة الإمام ، وأنه لم يأت ببدعة ، بل يحيى آثار السلف يقول في مطلعها (١) :

شيخ الهدى محمد المحمدي الحنبلي الأثري الأحمدي

وكتب ابنه محمد يدعو المنصور إمام اليمن الى هدم القباب
المشادة فوق القبور ، وتخليص التوحيد من أدران الشرك
يقول فيها (٢) :

فيا ايها الحي اليماني دونكم نداء إلى التوحيد لبوا لداعيه
وهذا كتاب الله يحكم بيننا ويشهد بالحق المبين ويقضيه

ويدعو أحمد الحفطي الثاني الناس الى العودة الى الدين ،
ويصور السنة متهمة قد عميت على الناس أنباؤها (٣) :

(١) نفحات من عسير : ١٥٠

(٢) نفحات من عسير : ١٥٠

(٣) نفحات من عسير : ١٥٠ وانظر شعر ابن مشرف الذي يختلط فيه البيان

بالدفاع في ديوانه : ٢٧ و ٢٩ و ٣٠ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٨ و ٤٣ و ٤٨

و ٥١ .

الشرع نادى ملوك الأرض بل طلبا حكما صحيحا يزيل الشك والريب
وقدم العرض لكن ما استجيب له وحقه في ملوك الأرض قد وجبا
نادى بصوت بليغ للعباد معا اني جعلت لأغراض الدنا سببا
وسيلة لصالح الامر صرت لهم وسلما لصعود السطح قد ركبا

وهذا الغرض أضعف وأقل الأغراض ، وذلك يعود الى أن
الشعر تأخر عن مواكبة الدعوة باللسان والرسائل والكتب (١) .
فقد كان الشعر في نجد آنذاك عاميا ، أما في غير نجد فقد تأخر
تأثر الشعراء بالدعوة ، وأولهم ابن غنام الذي واكب طور الجهاد ،
ولذلك قل الشعر الذي يعرض أفكار الدعوة بالأسلوب الهاديء ،
ولم يوجد الشعر قويا الا في مواكبة الكتائب المحاربة ، على
أطراف العراق ، وفي تخوم الحجاز ، حين تحولت الدعوة الى
حركة ، فكثر شعر الدفاع الديني والمذهبي والسياسي ، كما
سيأتى .

(١) الأدب الحديث في نجد : ٢١ .

شَعْرُ الدِّفَاعِ عَنِ الْحَرَكَةِ

- ١ -

واكب الدفاع عن الدعوة جميع مراحلها بما فيها الحركة ، لكنه غنى بالذات بجانبها الفكري ، لأن أكثر المهاجمين كانوا يهاجمون فكرة الدعوة ، أكثر من حركتها وبدأ بشكل الدفاع المجرد ، وشرح أفكار الدعوة بأسلوب هادئ ثم تطور الى اسلوب قوي حاد ، ثم ظهرت النقائص بين شعراء الدعوة ، وشعراء الأقطار ما قرب منها وما بعد ، والنقائص أخذت في أولها مأخذ الدفاع من الجانبين ، معتمدة على مناقشة الأفكار التي يدلى بها كل فريق ، لكنها ما لبثت أن تحولت الى هجاء سياسي وديني ومذهبي ، وفي هذا الفصل بيان بكل ذلك ، وأسبابه ونتائج^(١) .

(١) تصور بعض الباحثين شعر الدعوة تصورا خاطئا (الحركة الأدبية ٦٢ - ٨٠) فقال ان محور حديث شعراء الدعوة عن عقيدة التوحيد ، وصفات الكافرين والمسلمين ، والوضع السياسي والاجتماعي وهذا التقسيم على ناقصه ، اخطأ فهم شعر الدفاع عن الدعوة فسماء بهذا الاسم واخطأ تصوره حين عرف صفات الكافرين وصفات المسلمين وقد ساقه هذا التصور الى مزلق آخر (انظر الحركة) اذ قال « ان الشعراء كرروا صفات الكافرين وصفات المسلمين وتحدثوا عن العقيدة في تكرار ممل لا فائدة فيه » ، بينما تكرر الأفكار الذي يجعل القصيدة تقترب من الاخرى ناتج عن تكرار مواقف الدفاع عن الدعوة ، فكل مهاجم يجاوب عن نفس ما يسأل عنه ، ولكل موقف مقال فاذا تشابهت المقالات بتشابه مقاماتها فهذا بديهي ان يقع وان يكون حسنا .

أما المرحلة التي تطور منها الشعر الى الدفاع ، مرحلة شرح أفكار الدعوة بالأسلوب الهادئ فقد عرضت قبل ، أما قصائد المناقضات التي يختلط بها الدفاع بالهجاء ، فأول ما نعلم قصيدتان بين محمد بن فيروز ، وابن غنام ، كتب ابن فيروز قصيدة يمتدح بها ثويني بن عبد الله الذي ولاه سليمان باشا والي بغداد قيادة جيش لحرب الدرعية ومطلعها^(١) :

انامل كف السعد قد اثبتت خطا بأقلام حكام لنا حررت ضبطا
فرد عليه ابن غنام بالطائية المثبتة في تاريخه ، مطلعها^(٢) :

على وجهها المرسوم بالشؤم قد خطا عروس هوى ممقوتة زارت الشطا
تخطت فأخطت في المساعي مرامها ومرسلها عن نيل مقصوده أخطا
وثارت لنار الشرك تذكي ضرامها وسارت فبارت والإله لها قطا
ولا كابن فيروز يروم سفاهة دفاعا لحق في البرية قد خطا
يفالب أمر الله ، والله غالب ويندب من لا يملك الرفع والخطا
فتبا وسحقا يا لها من مقالة من الإفك والبهتان قد سحبت مرطا

ويصعب على الدارس فحص هذه النقائض ، لأن ابن غنام مثلا لم يثبت من أبيات ابن فيروز الا المطلع ، فقد ذهبت أكثر قصائد معارضي الدعوة ، وبقي القليل جدا منها ، مثلما حدث في النقائض الإسلامية الجاهلية ، إذ ذهب أكثر النقائض الجاهلية

(١) و (٢) تاريخ ابن غنام .

ولم يبق منها إلا القليل ، بينما بقيت كل النقائص الإسلامية ، ومن أسباب ذلك ظهور الدعوة على معارضيها وأعدائها ، بحيث لم يبق لأهل تلك القصائد مناصر في العلن فذهبت بذهاب أهلها ، واضمحلال أنصارها ، ولم يبق منها إلا ما يشم منه من بعيد رائحة الهجوم ، كما في بعض المختارات الشعرية ،^(١) يغلب على الظن وجود أكثر هذه النقائص عند أصحاب المكتبات الخاصة ، الذين يضمنون بها ، هذا من جانب ، والسبب الآخر أن أهل الدعوة لا يحرصون على إثبات شعر معارضيهم ، ولا على روايته إلا ما ندر ، وديوان ابن سحمان وهو أكبر شعراء الدعوة في النقائص والمهاجاة لا تجد فيه قصيدة واحدة كاملة سجلها كما قالها صاحبها ، بل يعارض القصيدة ، ويستعرض أفكارها ، وربما ذكر بعض أبياتها ضمن قصيدته ، وربما كان الشاعر قد وثق من معرفة جمهوره للقصيدة ، أو أنه أغفل قصائد المعارضين خيفة أن يدخل كلام المعارضين في هوس العامة ، أو أن قصائد المعارضين قد حذفت عند طباعة بعض الدواوين والكتب ، والا فما معنى أن ينشر شاعر في قدرة ابن سحمان قصائده دون معرفة أجوائها ومناسباتها ، ودون أن يعرف القارئ ما هي الحجج التي عني بنقضها ؟ ، وما هي أشعار هذا الفريق وذلك ؟ ، لكي يستطيع سواء كان عالما أو متعلما أن يدرك الحقيقة كاملة .

(١) انظر مختارات آل عبد القادر : ٢٥٩ و ص ٢٠ من هذا الكتاب .

ونأخذ في حديث النقائص التي تتصل بالدعوة فكرة ومبادئ ، فهي التي ركز عليها شعراء النقائص ، وأول غرض جالوا فيه الدفاع عن الإمام محمد ، الذي كثرت عليه السهام من الشعراء والعلماء والزعماء على سواء ، وأخف فقد قاله خصوم الدعوة عن طريق الشعر قول حسن بن خالد ، من أهل المخلاف^(١) :

اما الرسائل التي تأتي من الـ	مداعي فأمر ما به من مدخل
لكنها جاءت بأيدي عصابة	عملوا بضد مفصل مع مجمل
بل صرحوا بالشرك في كل الوري	من أمة الهادي بغير تأمل
وكم استباحوا من شيوخ ركع؟	كم من تقي عابد متبتل ؟

وهذه القصيدة جواب لقصيدة كتبها محمد الحفظي يدعو فيها حاكم المخلاف السليماني علي بن حيدر لاعتناق أفكار الدعوة ويدافع عن إمامها منها^(٢)

ويذب عن شرع النبي محمد	ويذم من يدعو النبي أو الولي
أن كان ظنا أن فيه غلاظة	وفظاظه ونكاية لم تجمل
فأقول حاشا إن فيه ليونة	وبشاشة للمقبل المستقبل

ومن النقائص دالية لزينى دحلان ، لفق فيها بعض القضايا على الإمام فقال إنه كان يريد النبوة ، لكنه لم يجد مجالا

(١) نفحات من عسير : ٦٠ - ٦١ .

(٢) نفحات من عسير : ٥٨ - ٥٩ .

لذلك ، وانه قتل أعمى كان يديم الصلاة على النبي ، فجلبده حتى مات ، وان المذهب الذي قام به مذهب خامس ليس بحنبلى ، ولا حنفى ، ولا شافعى ، ولا مالكى ، وكانوا يعتقدون مع عوامهم أن المذاهب أربعة ، وكل خامس منها فهو خارج الملة فقال ابن سحمان يناقضه (١) :

فان كان ديننا خامسا دين أحمد شفيع الورى الهادي إلى منهج الرشدي لديكم ومن يأتي به متوهب على خير دين المصطفى الكامل المجد فنشهدكم أنا على ذلك الذي اتانا به المعصوم أفضل من يهدى وسكنت ثائرة المهاجمين ، حتى ألف ابن جرجيس كتابه « التقديس » في الرد على الوهابية ، فألف الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ وابنه عبد اللطيف ، كتباً في الرد عليه فكان الشعراء على الجانبين ينقضون ويؤيدون ، ويدافعون ويهاجمون .

قال عثمان بن منصور مبتدئاً يمدح داود بن جرجيس ،
مرسلاً قصيدته من ربى نجد الى خليله في عالية العراق (٢) :
سرت من ربى نجد تجر ثيابها معطرة الادران كالنفل المثرى
من الخل عثمان التميمي نظمها على نقض زيف من طغام صدى وكر

ويتمدح فيها داود ، ويثنى على حسبه ونسبه (٣) :

-
- (١) ديوانه : ٣١ .
(٢) الاصول الثلاثة وملحقاتها (مخطوط) : ٦٠ ، ولا يغيب عن ذهن القارئ أن قصيدة عثمان حرفها النساخ حتى أصبحت بعض أبياتها دون معنى فأنبتناها على علانها .
(٣) الاصول الثلاثة وملحقاتها (مخطوط) : ٦٠ .

سمي نبي الله داود ليتنى تمليت منه الأنس [في] ساعة العمر
إلى جده جرجيس بالأصل ينتمي لبنت رسول الله عالية الخدر
قدم واستقم مادمت [في الله] قامعا لشيعه جند النهرواني والجبر

وقد تناول شعراء الدعوة هذه القصيدة بالازراء والنقص ،
قال عبد اللطيف بن عبد الرحمن ^(١) :

هدية عثمان إلى شر صاحب إلى الجسر من بغداد بالود والبر
مؤيدة حزب الضلال وثيقة إلى درك النيران أعمالها تسرى
بها من صريح الإفك أخبث مورد وإن ظنها الجهال من خالص التبر

وناقضه أيضا ابن مشرف بقصيدتين مطلع الأولى ^(٢) :

وقفت على نظم لبعض بنى العصر تضمن أقوالا بقاتلها تزرى

والثانية مطلعها ^(٣) :

يا ظبية البان بل ياظبية الدور هل أنت من نسل حوا او من الحور؟

وقال أمين بن حنشل ، وقد ضم صوته إلى عثمان بن منصور ،
يدافع عن داود بن جرجيس ، بقصيدة منها ^(٤) :

الحق لا شك ما أفتى الامام به أعنى به الشيخ داود بن سلمانا

ويبدو أنها جاءت متأخرة عن قصيدة عثمان بن منصور ،

(١) الأصول الثلاثة وملحقاتها (مخطوط) : ٦٠ .

(٢) ديوانه : ٢٧ .

(٣) ديوانه : ٢٩ .

(٤) ديوان ابن سحمان : ٢٢٣ .

لأن الذي تصدى لها كان ابن سحمان تلميذ عبد اللطيف بن عبد الرحمن فقال من قصيدة :

ما انت بالحكم الترضى حكومته ولا الاصيل ولا من حاز عرفانا

ولم تثر قصائد النقائض حول معارك تتصل بشخص معين ، أو كتاب معين إذا استثنينا هاتين المعركتين ، بل كانت تهتم بقضايا دينية وفكرية ، لها طابع الاتصال بالإمام ، لكن المعارك تناولتها كقضايا دينية ، لم توصل بشخص معين ، وطبعا كان ذلك بعد ما شاعت تلك الأفكار ، وفي مقدمة القضايا التي تبودلت حولها القصائد ، وكثرت النقائض مسألة الاجتهاد والتقليد ، قال ابن مشرف ، يزرى بالمقلدين (١) :

وكل فقيه في الحقيقة مدع	ويثبت بالوحيين صدق ادعائه
فواحر قلبي من جهول مسود	به يقتدى في جهله وشقائه
إذا قلت قول المصطفى هو مذهبي	متى صح عندي لم أقل بسوائه
يرى انها دعوى اجتهاد صريحة	فوا عجبا من جهله وشقائه

وابن مشرف يثير القضية التي أثار غبارها صديق حسن خان بكتابة « الدين الخالص » ، الذي دعا فيه الى الاجتهاد ، وقطع ربة التقليد ، وكان له معارضون كثير في الحجاز والشام والعراق والأحساء ، وهذا ابن سحمان يحمل على أحدهم بقصيدته الميمية ، التي هي من أقوى وأعنف ما كتب في الدفاع (٢) :

(١) ديوانه : ٢٩ .

(٢) ديوانه : ١٩٥ .

ودعواه ان الناس من الف حجة
ومن كان بالنصين ياخذ انهم
الا انهم ما قلدوا لائمة
فدعواه دعوى لا تقوم بحجة
راوا منهج التقليد قد كان اسلما
على مذهب الأرفاض أو من تأمما
جها بذة كانوا أبر وأحكما
مجردة يدرى بها من ترسما

وهو يوجه هذه القصيدة الى أحد أعيان العلماء ، لكننا
لا نعلم شيئا عن القصيدة التي قالها المهاجم ، كما لا نعلم عن
قصيدة الشاعر الذي هاجمه ابن مشرف ، وإن كان معروفا أنهما
يهاجمان علماء من الأحساء ، ولذلك نجد لبعضهم دفاعا عن نفسه
ضد تلك القصائد ، قال عبد الله آل عبد القادر (١) :

ياقبح الله بدعيا يحاول من
اخو هوى مولع بالحق يدفعه
يقول هذى فروع ضل أخذها
وضلل الناس في تقليدهم سلفا
اثبات بدعته ما كان ينهار
له على أهله رد وإنكار
وإنما هي قرآن وآثار
هم الهداة الألى للدين انصار

ولعل المعارك لم تعنف في شيء من القضايا ، كما عنفت
واشتدت في قضية بناء الأضرحة على القبور ، والطواف عليها ،
ومسألة زيارة النبي عليه السلام والندور للقبور ، والذبائح التي
تراق على عتباتها للصالحين والأولياء ، قال أبو بكر الملا ينتقد
أهل الدعوة (٢) :

فناذر شيء للرسول وزائر
له عندهم في دينهم مشرك حقا

(١) مختارات آل عبد القادر : ٢٥٩ .

(٢) ديوان ابن سحمان : ٩١ .

فناقضه ابن سحمان ، ورد عليه هذه القضية بقوله (١) :

نعم إن هذا النذر لله وحده فاشراكم للمصطفى أوجب الفسقا

وتولى كبر هذه القضية أحمد زيني دحلان ، في ثره وشعره

القائل : إن الزيارة ثابتة بالنص والإجماع (٢) :

إلى قبر خير العالمين محمد وأصحابه والصالحين ذوى المجد

لمشروعة مطلوبة بل وقربة يشد اليه الرحل من كان ذا بعد

وإن قبور الأنبياء جميعهم تزار بأعمال النجائب بالوحد

ومن جاء نحو المصطفى بعدموته كمن جاءه قبل الممات بلا جحد

ويتلقف قصيدته ابن سحمان فينهال عليها نقضا حجة حجة ،

متكلفا في ذلك مطولا في قصيدة بلغت خمس مئة بيت ، منها

قوله (٣) :

فتحكي إلى الإجماع هلا عزوت ما نقلت إلى أهل الدراية والنقد

ولكن إلى السبكي من ليس حجة أو الهيثمي من حاد عن منهج الرشد

فأحمد والنعمان قالا ومالك يقول وقال الشافعي بلا جحد

وكل إمام كالبخاري ومسلم واسحاق والثوري ذى الزهد والمجد

يقولون إن الشد للرحل بدعة إلى مسجد غير الثلاثة بالقصد

.. أهل كان من هدى الصحابة أنهم يؤمنون قبرا للزيارة من بعد ؟

ولو كان حقا جائزا في زمانهم لكانوا له والله كالإبل الورد

(١) ديوان ابن سحمان : ٩١ .

(٢) ديوان ابن سحمان : ٧ .

(٣) ديوان ابن سحمان : ٨-١٠ .

أما الأضرحة على القبور فقد كان المعارضون أقل احتفالا بها ، وإن كانوا يحتجون بالعامّة دائماً ، قال ابن مشرف ينعى عليهم الطواف بها ، والاستغاثة بها ، والدعاء لها^(١) :

قد خالفوا السنة الفراء وابتدعوا	والشرك جاء وابتحط منه موفور
لم يسلكوا منهج التوحيد بل فتنوا	بكل ذي حدث في اللحد مقبور
هذا يطوف وهذا في تقربه	يأتي اليه بمنحور ومنذور
وذا به مستغيث في شدائده	يرجو الإجابة في تيسير معسور

وحين فتح الملك عبد العزيز مكة هدم القباب المشادة ، وفرق سدتها ، وأزال مظاهرها ، فألم ذلك أحد المتبركين بها فقال^(٢) :

وكم هدموا قبراً مشيداً ومشهداً	لخير نبي أو لأفضل صاحب ؟
وما تلك أوئان سررتهم بكسرها	ولكن قبور قد أشيدت للذهب
تذكر أهليه مواضع دفنه	وتبقى لنا ذكرى فقيد وغائب

فنقض قصيدته محمد بن عثمان الشاوي بقصيدة منها^(٣) :

أما أمر المبعوث للناس رحمة	علياً أبا الشبلين ليث الكتائب
بأن لا تدع قبراً منيفاً وصورة	فبادر بل أوصى به كل صاحب
وفي مسائل التوحيد كثرت النقائص ، وألفت المنظومات ،	

(١) ديوان ابن مشرف : ٢٩ .

(٢) و (٣) التذكرة : ١٦٦/٣ ، ١٦٧ .

هؤلاء يدافعون عن مذهب أهل السنة والجماعة ، ويسمون خصومهم بالمعتلة والجهمية والقدرية ، وأولئك ينادون بآراء المعتزلة ، والأشاعرة ، والجهمية ، ويسمون الآخرين المجسمة والخوارج ، إلى غير ذلك من القضايا التي شغل الفقهاء بها أنفسهم كل يكفر الآخر ، وكل يدعى أنه هو الأمة الوسط ، وأنه الفرقة الناجية التي استثنىها الرسول من الثلاث والسبعين فرقة ، التي كلها في النار إلا واحدة ، وغير ذلك من القضايا التي فرقت بين الأمة الإسلامية ، واتخذت من النواخذ أبوابا ، ومن الفروع أصولا ، حتى توسع الخلاف وصعبت على الناس العودة الى القرآن والسنة بالفطرة ، دون شحن الدماغ بقضايا فلسفية تفضل حاملها أكثر مما تهديه ، ودون التضييق في فهم الكتاب والسنة ، واستخدام ألفاظ الكفر بين العلماء • ومن القصائد التي عنيت بمذهب أهل السنة ، والهجوم على أعدائهم قصيدة ابن مشرف التي سماها « الشهب المرمية في الرد على المعتلة والجهمية » ومطلعها :

نفيت صفات الله فالله اكمل وسبحانه عما يقول المعطل

- ٤ -

أما الجانب السياسي من الدفاع : فمن القضايا التي ثار حولها الجدل والدفاع ، قضية الهجرة من البلاد التي يحكم فيها بغير القانون الإسلامي ، أو الثورة على الحاكمين ، وهي قضية

ذات طابع سياسي ، ربما لا يعيرها اتباعها الذين يجهلون معنى الحركة الإسلامية ، لتحقيق الإسلامية الكاملة عقيدة وشريعة ومنهاج حكم وحياة . قال ابن سحمان يحض أهل الأحساء على الثورة على الأتراك ، ويشرح لعلمائها أنهم بين أمرين : إما الجهر بما يعتقدون واصلاح ما يفسد الأتراك ، أو الهجرة ، وهو يخاطب عبد اللطيف بن عمير^(١) :

إذا لم تبادرهم بعيب لدينهم وتكفيرهم جهرا فقد كان أوجرا
ففرض عليكم واجب أن تهاجروا كما قد أتى نصاً به الله أخبرا

وقال لآخر من الأحساء ، وعدد له مظاهر الحياة الاجتماعية الفاسدة في عهد الأتراك ، وشيوع الفواحش ، وكثرة المظالم ، وعيره بالمقام على الضيم^(٢) :

واعلم بأن الظلم والظلم التي قد شادها الإصرار والاصرار
في هذه البلد الذي أنتم بها والحكم بالقانون والأوزار
وبها اللواط لدى العساكر والزنا والخمر والتنباك والزمار
والله حرم مكث من هو مسلم في كل أرض حلها الكفار
ولهم بها حكم الولاية قاهرا فاربأ بنفسك فالمقام شنار

ويقول لآخر : ليس الدين التقرب من أبوابهم ، ومحافلهم
أو الانزواء عنهم بخيرهم وشرهم^(٣) :

ولكن بتكفير لهم وبشتهم جهاراً وتصريحاً وغيباً ومحضراً

(١) ديوانه : ٧٤ . (٢) ديوانه : ٧٦ . التنباك : الدخان .

(٣) ديوانه : ٢٥ - ٢٦ .

ويبدو أن الذين يجاد لهم شعراء الدعوة كانوا يردون عليهم نارا بنار ، فيأخذون على آل سعود بعض المآخذ السياسية ، والعسكرية ، ولذلك نرى ابن سحمان يعتذر عن آل سعود ، ويقول إن هزلهم خير من جد حكامكم ، لأنهم صالحون ، عادلون ، في الغالب (١) :

فقال سعود بالصعود إلى العلا	مآثرهم معلومة الحال والمحل
فهم بالهدى أخرى وبالخير والتقى	وليسوا بمعصومين من سائر الخلل
ففيهم أمور منكرات وفعلها	حرام عليهم لا يسوغ ولا يحل
ولكنهم أولى بكل فضيلة	وأحسن حالا من ذويك ذوي الخطل

وفي قصيدة أبي بكر الملا القافية التي عرضنا لها ، ولرد ابن سحمان عليها ، ، نجده يردد أن أهل الدعوة صدوا الناس عن البيت المحرم ، وآووا قطاع الطرق ، ويرد عليه ابن سحمان فيؤكد أنهم لم يمنعوا الناس عن الحج إلا حين أبوا أن يأتوا إلى مكة إلا ومعهم لهوهم ، ومر ذكر قصيدتين بين محمد بن فيروز ، وحسين بن غنام في حملة ثويني بن عبد الله ، ومن الشعر السياسي أيضا ما قاله عثمان بن سند النجدي البصري عام ١٢٣٣ يتشفى من الدعوة وأصحابها ، الذين سقطوا صرعى تحت ضربات

(١) ديوانه : ١٢٧ .

ابراهيم باشا بقصيدة مطلعها (١) :

لقد فتحت للدين اعينه الرمد لدى لاح من بين السيوف له السعد

فرد عليه ابن مشرف بقصيدة مطلعها (٢) :

اليل غشا الدنيا أم الأفق مسود؟ أم الفتنة الظلماء قد أقبلت تعدو؟

(١) و (٢) ديوان ابن مشرف . ص ٥١ و ٥٠ .

شعر الهجاء

- ١ -

ولم يلبث اسلوب الهجاء أن دخل النقائص ، فتحوّلت القصيدة إلى هجاء ديني ، وسياسي ، ومذهبي^(١) ، يقل فيه الاعتماد على المنطق الديني ويكثر الاعتماد على العاطفة ، وقصائد هذا اللون من أجود شعر النقائص وأقربها إلى روح الشعر ، ولم تأت إلا متأخرة ، فلم نرها قبل ابن سحمان الشاعر الجدل ، الذي لا يسترسل على طبعه ، ولا يأتي من القول كل مدخل إلا في هذا الغرض حين يدافع بلسان حاد ، يدمغ بالحجة ويسلب الخصم شخصيته العلمية ، لينهال عليه بعد ، ضربا بالهجاء الساخن ، سخريّة بعلمه ومنصبه ، مفرغا عليها ما شاء من صفات ونعوت لها وقع السوط الملتهب على الجسد العاري ، كتب النبّهاني قصيدته الرائيّة يسب الإمام ويهجوه ، ومنها^(٢) :

أشار رسول الله للشرق ذمة وهم أهله لا غرو أن اطلع الشرا
أولئك وهابية ضل سعيهم فظنوا الهدى شرا وظنوا الردى خيرا

وقال منها : هؤلاء هم أبناء سجاح التي ادعت النبوة ،

(١) قال بعض الباحثين (انظر الادب الحديث في نجد : ٢٦) ان الشعراء سمّوا بقولهم عن الهجاء وليس لهذا القول أي ظل من الصحة ، كما يتبين من النصوص المروضة .

(٢) ديوان ابن سحمان : ٥٢ و ٦٥ .

فهي جدتهم كما كان مسيلمة الكذاب جدهم ، لكن ابن سحمان ،
يرد عليه بأن مسيلمة ليس له نسل ، وان سجاح هاجرت الى
الشام ، فان كان لها من نسل فالنبناني أقرب اليه من أهل نجد
يقول (١) :

مسيلمة الكذاب ليس بجدهم	وليس له نسل يقرر أو يدري
ولا لسجاح ويل أمك فاتئد	فما الفشر الا ماهويت به نشرأ
وقد أسلمت والشام كان مقرها	فلو كان من لؤم لكننت به أخرى
وعلمك بالأنساب اعظم آية	على جهلك المردى بما قلته جهرا
اتحسب أنا ويل أمك غفلا	كانباط من بالشام ما حققوا الأمرا

وإذ فند علمه بالأنساب وأبان له حقيقة جهله ، فليس ابن
سحمان من أنباط الشام ، ممن يقرون بعلم النبناني الخاطيء
للأنساب ، كما أن ابن سحمان يلزمه في نسبه ، ويقول أنت تدعى
النسب الهاشمي ، ولم يقل أحد من الأشراف أنك منهم بل أنت
من غوغاء جذامة ، من الأنباط أهل فلسطين (٢) :

فمن أنت منسوب إليه حقيقة	فنحن على شك ودعواك لاتجری
ودعوى بني نبهان يحتاج أن يرى	بذلك ثبت ثابت عن بني الزهرا

ويهجو أحدهم ويقول له : إنك لا تستحق الهجاء ولا
المديح ، لأنك ضائع بين الصنفين ، فلست من أهل العلم ، ولا من

(١) ديوان ابن سحمان : ٥٢ والفشر : في البيت الثاني لا معنى لها ولعلها
الفشر : بالفتح : الشؤم ، أو بالكسر : اللحاء أو القش : الزبالة .

(٢) ديوان ابن سحمان ٦٥ .

أهل الأدب والشعر (١) :

فللمدح أقوام وللذم عصابة وانت فكالشاة المضاعة تبعر
وإن مد باعا للصناعة أهلها فباعك عنها لا محالة يقصر
وإن سلكوا للعلم نهجا واللحجى فمثلك عن منهاجهم يتأخر

ومن أعنف هجائه وأقساه الميية التى استخدم فيها التركيز
على الأخطاء الشخصية ، من عيوب وهفوات ، والأحساب
والأنساب ، متخذا السخرية اللاذعة ، والهجاء الحار ، والألفاظ
الجارحة ، وسنعرض شيئا منها لأنها تمثل قمة الهجاء عند ابن
سحمان ، نقض فيها الحجة العلمية بالحجة القوية ، ثم فرغ
للسباب ، فأجاد وأبدع وهو يقول أن خصمه ليس كهوًا لأن
يهجى ، لكن الله أمرنا بقتل الفواسق في الحل والحرم ولو كان
صاحب علم لهداه علمه ، ولو كان ذا عقل لنفعه عقله ، ولو كان
يعمل بعلمه لندم ، لكنه فقاعة صابون (٢) :

فظن الحيارى الناكبون عن الهدى به الخير لما أن غدا متعمما
ودرس واستفتاه من كان جاهلا فظنوه حبرا عالما مترسما
فلم يعترف بالذنب منه وبالخطا كابليس لما أن أصر واجرما

ويتحدث عن فضل رجال الدعوة على هذا الرجل ،
واعتمادهم عليه ، واکرامهم له ، حتى إذا انقلبت الأمور قلب ظهر
المجن :

(١) ديوانه : ٧٨ .

(٢) ديوان ابن سحمان : ١٦١ .

اما كنت يا هذا وأباؤك الأولى
 وظاهرتمونا برهة من زمانكم
 بأمر إمام المسلمين وجعله
 وأوقف أوقافا فعشتم بفضلها
 فما بال هذا الطعن في الدين جهرة
 أنا فقت أم أمر بدا لك رشده
 .. أتعرف من أنتم ؟ ولو كنت عارفا
 فأنتم بنوا العنقاء في العلم والحجى
 تقرون أنا الذائدون عن الحمى
 على ذاك لم تبدوا مقالا مذمما
 أباكم رئيسا قاضيا ومقدما
 إليكم حنانا ياذوى اللؤم والعمى
 وتضليل من أمسى عليه مصمما
 فأيدته جهرا وكان مكتما ؟
 لقنعت رأسا بالصغار معمما
 وهل أنتم إلا لمن شام وارتمى (١)

وكان القوم قد استعدوا ابن رشيد حاكم حائل على علماء
 بلادهم ، الذين ينهجون نهج علماء الدعوة فقال لهم ابن سحمان :
 فهلا بعلم كان ذاك وحجة تزيل صدى من كان بالحق مغرما

أي لم لم تقنعوهم بالعلم والحجة ، لا بالسلاح والسيف
 لكنه بدوره يهددهم ويتوعددهم بأمير قوى يربض على تخومهم ،
 يشارك علماء الدعوة أفكارهم :
 فإن لم تنبوا طائعين لربكم فإن فتى منا هاما مقدما
 إذا لاقى الكماة عثمما جريئا

(١) شام : نظر الى البرق أين يتجه ويمطر . ارتمى : رمى .

وتقسم قصائد المناقضات والهجاء الى ما تقدم ، بسمات أخرى منها ما يتصل بشكلها ، ومنها ما يتصل بمضامينها وأفكارها ، فمما يتصل بالشكل طول القصائد ، سواء الطول العرضي أو طول الامتداد ، ونقصد بالطول العرضي اختيار البحور الطويلة ، التفاعيل الكثيرة ، الكامل ، والطويل .

والطويل بحد ذاته استأثر بكثير من القصائد ولجوء الشعراء إلى البحور الطويلة أمر له ما يوجب ، وهم يعنون بتسجيل الأفكار وتضمنين الحجج ، والآي ، والحديث ، وأقوال العلماء ، وأسمائهم ومذاهبهم ، وكل ذلك لا يتأتى في البحور القصيرة ، أما طول الإمتداد فان قصائد الدفاع في الغالب طويلة النفس ، وأكثرها طولاً قصائد ابن سحمان الذي كان أكبر المدافعين ، وأكثرهم أشدهم هجوماً ، وهجاء ، وهو الشاعر الذي حاول أن يطوع الشعر للجدل العقيدي فقد بلغت داليتة في الرد على دحلان خمس مئة بيت ، وبلغت قصيدته الميمية السابقة أيضاً خمس مئة بيت ، كما تجاوزت قصيدته في الرد على الملاحى سبع مئة بيت ومطلعها (١) :

(١) محمد الملاحى من قفار قرية قرب حائل ، كان صالحاً متديناً ، له شهرة بالعلم والفتوى في حائل ، له مواقف مشهورة من بعض معاصريه ، اتسمت بالقوة والصلابة توفي عام ١٢٨٠ هـ (زهر الغمائل : ٩) .

ألا ابلغنا عنى حنانيكما امرا جهولا تمادى في الضلالة والجدل
ولابن سحمان قرابة أربعين قصيدة ، في الدفاع عن الدعوة ،
والهجوم على معارضيها ، بلغت ثلثى ديوانه ، أكثرها المطولات ،
أما قصائد معارضي الدعوة ، فليس لدينا المعلومات التى تخولنا
الحكم بطولها وبقصرها •

وطريقة النقائض تقوم كما هي في أعلى نماذجها على
استعراض حجج الخصم واحدة فواحدة ، ثم يرد عليها كل واحدة
على حدة ، وغالبا يورد نقض كل حجة بعد سياقها مباشرة ، ثم
تساق الثانية وتنقض على هذا النسق ، وأحيانا يورد كلام الشاعر
المناقض بحروفه ، فيكون جزءا من شطر ، أو شطرا ، أو بيتا كاملا ،
وقصائد المعارضين أيضا لها نفس الأسلوب اعتماد الحجج
العلمية ، إضافة الى الزخ العاطفى والهجو •

- ٣ -

وشيوع ألفاظ القذف الدينى من الكفر والإلحاد ، والفسق
والزندقة ، والضلالة والردة ، فضلا عن ألفاظ القذف الشخصي ،
التي تبدأ من تشبيه الشخص بالحمير والقرود وتنتهى به الى
الجعلان وما وراءها ، شيء يكثر تبادله عند شعراء النقائض ،
قال ابن مشرف ، يكفر الترك لحكمهم بالدستور ويكفر من لم
يكفرهم :

ويحكم بالدستور بين ظهوركم وحكم النبي المصطفى ليس يذكر
فمن لم يكفر كافراً فهو كافر ومن شك في تكفيره فهو أكفر

ومن شبه الله بخلقه فهو كافر ، ومن استهزأ بالدين فقد
كفر ، ومن سب أهل الدين فقد كفر ، ومن شك في كفر
من سبهم فقد كفر ، لقد أصبحت ألقاب الكفر وكلماته
كالترومتر حساسة جداً ، تتحرك لتطلق على أي شخص ، لكبير
الأشياء وصغيرها ، قال ابن سحمان (١) :

ومن لم يكفر كافراً فهو كافر ومن شك في تكفيره من ذوي الطرد
كذلك كفرنا غلاة روافض وأهل اعتزال مارقين ذوي جحد
وجبرية جارت ومرجئة غلت ومن كان غالي في ابتداع على عمد

والعثمانيون هم كفرة ، ويجب قتالهم ، وتستحل دماؤهم
وأموالهم (٢) :

وما الرفض للأتراك في غمراتهم هو الدين يامعتوه لو كنت مبصراً
ولكن بتكفير لهم وبشتهم جهاراً وتصريحاً وغياً ومحضراً

لقد أصبحت ألقاظ القذف الديني ، كرة يتقاذفها المتلاكمون
بالأيدي والأرجل ، قال عبد الباسط ، وهو من معارضي الدعوة
يهجو الإمام محمد ابن عبد الوهاب (٣) :

(١) ديوانه : ٧٤ .

(٢) ديوانه : ٢٥ - ٢٦ المحضر : الحضور .

(٣) منظومة في التعرض لسب الشيخ (مخطوط) : ٣ . العارضي : نسبة إلى
المنطقة التي عاصمتها الرياض .

واحذر موالاة الذين قد اقتدوا
من قام في وادي حنيفة داعيا
لا تعجبين لتابعيه فانهم
يا كافرًا يا غادرًا يا فاجرًا
بالمارضي الخارجي الملحد
لهم إلى شيطانه المتمرد
صم وعمي يقتدون بأرمد
يا باغيًا يا غاويًا يا معتد

وقال آخر يكفر الإمام^(١) :

بدت من غوى خامر الكفر قلبه
بدا شرها من شر ارض وبقعة
وابشعها مرأى واكثرها فسقا
وابتاعه الجلف السواسية الحمقى

هذا دون شك أثر من دخول الشعر في الميدان ، وإذا كنا
فلوم شعراء الدعوة في اغراقهم في هذا ، فإن اللوم أيضا يقع
على شعراء المعارضة ، لقد كان كلا المهاجمين ، يستخدم ألفاظا
لا ينبغي استخدامها ، وكان شعراء الدعوة كغيرهم مدفوعين دفعا
بقصائد معارضيهم ، فيعطونهم بنفس الصاع الذي اکتالوا به ،
يقابلون سيئة بمثلا ، ومما زاد الطين بلة أن خصوم الدعوة
استغلوا فترات ضعف الحكم السعودي ميدانا لهجماتهم وردودهم
وتشفيهم ، فكان شعراء الدعوة في وسط معمرة فيها القلق النفسي ،
والكآبة الاجتماعية ، يقذفون ويوجعون ليدفعوا بعض ما حاق
بهم من كرب ، وينفسوا من أوجاعهم البعيدة والقريبة • وكل

(١) ديوان ابن سحمان : ٩٠ . الجلف ج جليف وهو الفليظ الجافي .

ذلك من باب الهجاء السياسي والديني والشخصي^(١) .

ويختلط في النقائض العلم بالأدب ، والعقل بالعاطفة ، فيتعد بك الشاعر حتى يغوص بك في أعماق كتب الأصول ، والعقائد ، والمذاهب ويضع لك أسماء العلماء والمحدثين كالصوى في القصيدة ، فضلا عن الماعات أهل الفقه وتخريج علماء الحديث ، ثم ينتقل بك في رحلة أدبية تقطع خلالها القرون حتى ترى نفسك في نقائض جرير والفرزدق والأخطل ، أو نقائض شعراء الجاهلية ، وشعراء صدر الاسلام ، حيث القذف والسباب واستخدام الخيال ، والحجج ، والطعن في الأنساب والأديان والأخلاق ، والتحرش على الأعداء ، وتهديدهم بالقصائد القوية ، واستعداد الحكام عليهم ، في جو مشحون بالتوتر الدرامي .

(١) الحركة الأدبية : ٧٩ ، ونود ان نشير الى ان هذا لا ينطلق من مفهوم دعوة الامام الذي يقول : نحن لا تكفر الا من اجمع العلماء على تكفيره وان كان بعض علماء الدعوة قد انزلقوا في قضية التكفير تماما كما انزلق معارضوهم وكما انزلق الشعراء ، فان ذلك لا يعنى بالضرورة مذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب في هذه المسألة ولقد كان الامام اكثر حذرا من ابن تيمية في قضية التكفير ولكن كثيرا من العلماء المتأخرين تألوا بأسلوب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم .

٤

شعر المديح

- ١ -

وفي شعر المديح والثناء أشاد الشعراء بعلماء الدعوة وأولهم الشيخ محمد وآله ، وأتباعه من حماة الدعوة والعلماء المدافعين عنها في خارج الدولة وداخلها ، مسهبين في الحديث عن سعة علمهم ، وتحقيقهم ، وتحريهم ، واكبابهم على الدرس والإملاء لنشر الدعوة بالرسائل والكتب ، ومديح علماء الدعوة يأتي في قصائد مستقلة قليلا ، ويأتي كثيرا ضمن أغراض شتى كقصائد الحرب والحماسة ومديح الأمراء ، وهجاء أعداء الدعوة ، والمناقضات وغيرها ، قال ابن غنام يصف أثر الامام^(١) :

فأضحت به السمحاء يبسم ثغرها وأمسى محياها يضىء ويلمع
وعاد به نهج الفواية طامسا وقد كان مسلوكا به الناس ترتع

وقال ابن مشرف^(٢) :

لقد أوضح الإسلام عند اغترابه وقد جد في إخفائه كل ملحد
وجدد منهاج الشريعة إذ عفت فأكرم به من عالم ومجدد
واحيا بدرس العلم دارس ورسمه كما قدأمت الشرك بالقول واليد

وقال ابن سحمان^(٣) :

(١) تاريخ ابن غنام : ١٥٥/٢ - ١٥٦ . وعنوان المجلد ١/٥ - ١٠٦ . طامس : ذاهب

(٢) ديوانه . (٣) ديوانه .

فجاهد في ذات إلهه ولم يخف عداوة من قد خالفوه على عمد

ومدحوا ديار أهل العلم ، ومجالس درسهم ، وعكوفهم ،

بين المحابر والأقلام ، قال عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن (١) :

وفيها الهداة العارفون بربهم ذوو العلم والتحقيق أهل البصائر
محابرهم تعلو بها كل سنة مطهرة انعم بها من محابر
مناقبهم في كل مصر شهيرة رسائلهم يفدو بها كل ماهر
وفيه من الطلاب للعلم عصابة إذا قيل من للمشكلات البوادر

وساند الدعوة علماء كبار في العراق ، واليمن ، والهند ، فقام
أعداء الدعوة في الأحساء والحجاز بهجوهم ، فرد عليهم شعراء
الدعوة يمدحون ويشيدون قال ابن سحمان يمدح صديق
حسن خان (٢) :

وصديق أولى بالصواب وبالهدى وهل كان إلا جهبذا أو مفهما ؟
ليس الذي ينهى عن الشرك جهرة ويأمر بالتوحيد أمراً محتما ؟
ويتلو من الآيات والسنن التي اتت عن رسول الله من كان أعلما
دلائل تجلو زيف كل مشبه فله ما أبدى وأجلى وعلمما

وقال يمدح محمود شكري الألوسي (٣) :

-
- (١) رسائل عبد اللطيف الشيخ (مخطوط) : ٢٢٨ - ٢٣٠ التذكرة :
١٩٩ - ٢٠٠ .
(٢) ديوانه : ١٦٩ .
(٣) ديوانه : ١٣٦ . كان عبد اللطيف قد توفي قبل إتمام رده على داود
ابن جرجيس فاته الألوسي .

فله من حبر هزبر محقق سما في العلى بالرد للغاية القصوى
لقد نصر الإسلام من بعد أن سعى لاطفائه داوود من بغيه عدوا
فزيف محمود سفاسط مكره وعدوانه لا بالتعسف والدعوى
ولكن ببرهان وأوضح حجة على الخصم من أدلى بها لازما يقوى

- ٢ -

ومديح رجال الدعوة من آل سعود الذين قادوا المعارك ،
وفتحوا البلدان أمام امتداد الدعوة ، ولقد كان الأمراء يجيزون
شعراء المديح ، لأنهم في مرحلة أشد ما يكونون حاجة إلى الدعاية ،
للدعوة ورجالها وأفكارها ، وليس لدينا نص يدل على هذه
الإجازة ، لكن كثرة مديح الشعراء لفیصل بن تركي ، توحى بذلك ،
فضلا عن وفود شعراء من خارج الجزيرة للمديح كعبد الجليل
البصري ، الذي وفد على فیصل بن تركي ، وامتدحه (١) وكان
فیصل معروفا أيضا عند شعراء النبط بالكرم حتى سموه «أباهلا»
وهي محرفة عن أهلا وسهلا لبشاشته وترحيبه بهم ، وبالمحتاجين
والفقراء (٢) .

وأول صفة ركزوا عليها مديحهم نصرة الدعوة ، وإيواء
إمامها ، والتفاني في بث جيوشها . قال عثمان بن منصور يمدح
تركي بن عبد الله (٣) :

-
- (١) نزهة الإبرار : ٧٤٥/٣ و ٧٨٥/٣ .
(٢) اربت مدائح ابن مشرف للإمام فیصل على عشرين قصيدة انظر في ديوانه
٤٤ و ٤٥ و ٥٢ و ٥٤ و ٥٦ و ٦٤ و ٦٦ و ٦٨ و ٧١ و ٧٢ و ٧٧ و ٨٢ و ٨٤
و ٨٦ و ٨٨ و ٩١ و ٩٤ و ٩٦ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٥ .
(٣) عنوان المجد : ٦٥/٢ - ٦٦ .

ترى لابن عبد الله تركى صولة
وعم وجد قوما الدين بيننا
ائمة صدق يقتفون سبيلهم
توارثها من والد الخير تعرف
محمد مع عبد العزيز المخلف
عليهم سلام الله غض مضعف

وقال ابن مشرف يمدح فيصلا (١) :

هم نصرُوا التوحيد بالبيض والقنا
وآووا إماما قام لله داعيا
... فوازره عبد العزيز ورهطه
فما خاف في الرحمن لومة لائم
وكم غارة شعواء شنوا على العدا؟
وكم سنة أحيوا وكم بدعة نفوا؟
فنال المنى بالنصر كل موحد
يسمى بشيخ المسلمين محمد
على قلة منهم وعيش منكذ
ولم تثنه صولات باغ ومعتد
وكم طارف منهم حووه ومتلد؟
وكم هدموا بنيان شرك مشيد؟

ووصفوههم بالصفات التي عرف الشعراء إتقانها منذ الجاهلية
من الشجاعة ، إلى الكرم ، إلى العقل ، إلى المدح بالعدل والحلم ،
قال ابن مشرف في مديح فيصل (٢) :

تراه لفعل المكرمات مشمرا
يخوض لظى الهيجاء فردا وكفه
يعامل من يرعى برفق ورحمة
إذا اجتاز قوم بالنوال أجازهم
إذا الجود والإقدام للناس أقعدا
سحاب ندى يهمل لجينا وعسجدا
ويقمع منهم من طغى وقمردا
فعاثوا بخير كلما راح أو غدا

وقال ابن تقيسة في آل سعود (٣) :

(١) ديوانه : ٦٢ .

(٢) ديوانه : ٥٥ .

(٣) التذكرة : ٥٨/٢ في الأصل فلم يدر مجتدى في البيت الثالث .

سراع إلى الجلى بطاء عن الخنا ميامين هم ذخر لمن ضده الدهر
إذا رقدوا أغنوا، وإن عاهدوا وفوا وإن سالموا سروا وإن حاربوا ضروا
وإن سئلوا جادوا بما في أكفهم فلم يدر [معطيهم] متى خلق الفقر

وقال سليمان بن سحمان يمتدح الإمام عبد الله بن فيصل
مركزا على صفة الشجاعة (١) :

حامي الحقيقة عبد الله من خضعت منه الملوك جميعا أي اخضاع
مذكى ضرام وقود الحرب إن خدت ماض على الهول صلت غير ضعضع
يجول في الناس يوم الروع معتضدا بصارم يختلي الأعناق قطاع

وربما بالغ الشاعر في المديح ، وهذا واضح عند ابن عثيمين
خاصة كقوله في الملك عبد العزيز (٢) :

ليت الذي سكن الثرى ممن مضى من أهل بدر والبقيع النور
نظروا صنيعك في المدينة والتي يهوى إليها كل أشعث أغبر
كى يشهدوا أن الفضائل قسمت بالفصل بين مقدم ومؤخر
وليشكر الثقلان ما أوليتهم من أمنهم من بعد خوف أعسر
ظفر الحجاز من الزمان بغبطة بعد النبی وصحبه لم تخبر

- ٣ -

والشعراء في مديحهم يعبرون عن روح الإعجاب والمشاركة
في المبدأ ، ولذلك كثروا حول الامام فيصل بن تركي والملك

(١) ديوانه : ٢٠٧ .

(٢) ديوانه : ١٠٨ - ١١٥ .

عبد العزيز^(١) ، أما عبدالعزيز بن محمد وابنه سعود ، فلم يحظيا
بكثير من الشعر ، على سعة الملك ، وبطولة ، وشجاعة ، لأن الشعر
كان إذ ذاك ناشئاً • والشعراء على مشاركتهم بالمبدأ يلحون في
طلب الجائزة أحياناً كما يقول ابن مشرف^(٢) :

ودونكها منظومة عبقرية	تنائر من أصناف أبياتها الدر
وبكر عروس قد تصدى لرفها	محب لكم أدنى وسائله الشعر
فعجل قراها فالضرورة أحوجت	وكاد يكون الفقر لولا الهدى كفر
وانجز له الوعد الذى قد وعدته	فأمنيته والوعد ينجزه الحر

ويقول ابن عثيمين وقد ركب ناقته إلى الممدوح الملك
عبد العزيز^(٣) :

فارقتهم امترى اخلاف سائمة	يسوقها واسع المعروف منان
لعل نفحة جود من مواهبه	يروى بهامن صدى الإقتار عطشان
أريش منها جناحاً حصه قدر	شكا تساقطه صحب وإخوان

الشيء الذي تؤكد أنه هذا الشعر لم يقل خالصاً لوجه
التكسب ، لما في أثنائه من عرض لمشكلات الأمة ، وتعرض لنواحي

(١) أكثر ديوان ابن عثيمين في مديح عبد العزيز ، ومثله ديوان ابن بليهد الذى
تجاوزت القصائد التى امتدح بها ثلاثين قصيدة .
(٢) التذكرة ١٣٤/١ والديوان ٥٤ و ٦٤ .
(٣) ديوانه : ٥٣ - ٥٤ امترى : استدر . حصه : حلقه .

السياسة ، وحث للإمام على بعض الأمور، ونصيحته ، وعدم المبالغة في أغلب الشعر وترك التطبيل الفارغ ، ووضوح شخصية الشاعر . وقد كانت قصائد المديح تحفل دائما بوصف المعارك ، والفتوح ، وأيام النصر، والهزيمة ، وبالشعر السياسي ، الذي يعرض مشكلات الأمة أمام الراعي ، ويحرضه على القتال ، ويدعوه إلى ترك اللين، واتخاذ الحذر ، وهذه الأفكار تشكل غرضين مستقلين : وصف المعارك والفتوح ، والشعر السياسي وسنعرض لهما مفصلين .

وصف المعارك والفتوح

واكب الشعر الحركة منذ بدايتها ، وكان أول ما قيل من الشعر في وصف المعارك ، والفتوح ، والتهاني بالنصر ، وأول الشعراء ابن غنام الذي عاصر عهدي محمد بن سعود ، وعبد العزيز ابن محمد ، ثم ابن مشرف الذي عاصر الدولة السعودية الثانية ، وخلفه ابن سحمان الذي أدرك الدولة السعودية الثانية ، وفترة حكم آل رشيد ، وأول الدولة السعودية الثالثة ، وأخيرا استقرت الراية في يد محمد بن عثيمين الذي أدرك كل أحداث الدولة السعودية الثالثة ، وإلى جانبه شعراء آخرون صغار كابن بليهد ، وابن نقيسة •

واكب ابن غنام فتوح الدعوة وحروبها منذ فتح الرياض عام ١١٨٧ هـ الذي قال فيه قصيدة مطلعها^(١)
كشف الحق ظلمة الإغلاس ومحا الدين جملة الأرجاس
وكقوله يهنئ الأمير سعودا بقتل ثويني وفتح الأحساء
ويصف معاركها عام ١٢٠٦ هـ^(٢) :

(١) تاريخه ٨٦/٢ .

(٢) تاريخه ٢٣٧/٢ .

تلاّ نور الحق وانصدع الفجر وديجور ليل الشرك مزقه الطهر
ووصف ابن مشرف معارك الإمام فيصل مع بدو العجمان ،
وتكيله بهم^(١) :

وكم قد اغاروا في الدروب وكم عثوا وكم قطعوا سبل الحجيج وخوفوا
فقال ادخلوا في السلم طرا واسلموا وإلا فحرب وعده ليس يخلف
واقسم لا نعطي على ديننا الرشا وما عندنا إلا حسام ومصحف
فمن لم يقومه الكتاب أقامه حدود الطبّا والسهمري المثقف
فهل يستقيم الدين إلا بدعوة إلى الله يتلوها سنان ومرهف
... فلما أبوا إلا الحلاف تمردا رماهم بما يؤذى النفوس ويتلف
بجيش لهام حشوه الخيل والقنا تهب رياح الموت منه وتعصف

ومدحه أيضا حين قضى عليهم القضاء المبرم بقصيدة أخرى^(٢)
فمن لم يكن عن غيه الوحي زاجراً له كان في ماضي الحديد له زجر
وبعده ابن سحمان ، واكب أوائل فتوح الملك عبد العزيز ،
قال يصف الاستيلاء على القصيم عام ١٣٢١ هـ^(٣) :

معالي الأمور الساميات المعالم لأهل التقى والجود أهل المكارم
وبالحزم للأعداء بالعزم في الوغى تنال العلى بالمرهفات الصوارم

(١) ديوانه ٨٢ .

(٢) التذكرة : ١١٥/١ .

(٣) التذكرة : ١٥/١ .

ويصل وصف المارك الى قوته وجودته عند ابن عثيمين ،
قال في فتح حائل عام ١٣٤١ هـ (١) :

أعاد النهار المشرق النور مظلما	ويوم كسوت الجو فيه قساطلا
على كل باغ قد طفى يطر الدما	ملأت من الاسماع رعدا سماؤه
ولا تنطق الأبطال إلا تغمغما	فما تنطق الأسياف إلا تصلصلا
وعاد كميت اللون منها مسوما	وكم خدجت فيه الجياد مهارها
غداة رآه بالفبار ملثما	ولم يعرف الناعى الحميم حيمه
وان حصنوا ذابوا لحوما وأعظما	فان أصحروا فالحيل قيدشريدهم
وقومته بالبيض حتى تقوما	أقمت به عرش الهدى بعدما هوى

(١) ديوانه : ٢٥٦ . التصلصل : الصليل ، صوت السيوف ، تغمغم : اصوات
غير مفهومة (٢) خدجت : ولدت ناقصة لم يكمل خلقها .

الشعر السياسي

- ١ -

والشعر السياسي الذي يحرض على الحروب ، ويدعو
الحكام إلى الحزم ، وأخذ الحيطة من الأعداء في الداخل
والخارج ، وترك الهوادة واللين في معالجة أمور الأمة ، وجد كثيرا
مثلما وجد منه الشعر الذي يعرض قضايا الأمة أمام الحكام ،
ويطالبهم بإصلاحها ، وفي عهد الإمام فيصل كان لسان ابن مشرف
قويا حادا لا يهاب ، قال يشكو عمال الأحساء وجورهم في تقدير
الزكاة (١) :

إليك شددت العيس أشكو ظلامتي فقد رام خسفى حاسد وظلوم
وجار علي العاملون بخرصهم وظلم الورى يوم الحساب وخيم
وإنك للمظلوم كهف ومعقل يلوذ به مستضعف ويتيم

أما تحريضه الإمام فيصلا على العجمان فقوى شديد ،
شدة هجمات البدو (العجمان) على هذا الريف الآمن ، والشاعر
في كل قصيدة من قصائده يدعو الإمام إلى تطبيق القوة ، وترك
الهوادة (٢) :

(١) ديوانه : ٩٧ . (٢) ديوانه : ١٠٠ .

ما جرد الصمصام ذو همة عند اعوجاج الأمر إلا استقام
والمجد لا يدركه مولع بلثمه الحسناء ذات اللثام

وهو يعرض الموضوع في الأسلوب الساخر (١) :

اساءوا جميعا في الإمام ظنونهم فقالوا ضعيف الجند أخلاقه حصر
نغير على بلدانه ونخيفها ليعرفنا الوالى وينمو لنا الوفر
فان لم نصب ما قد أردنا فإنه صفوح عن الجانى ومن طبعه الصبر

وفي قصيدته البائية يتحدث عن حبيته الحسناء النجدية ،
التي قطعت علاقتها به ، وقالت أنت في بلد مخوف ، وأنا في ربي
نجد الآمن ، ولا نبعد عن الحقيقة إذا قلنا انه قصد بهذه الكناية
السياسية شيئا ذا بال ، كما قال (٢) :

انا في ربي نجد وانت ببلدة احاطت بها الأعداء من كل جانب
يفيرون في أطرافها وسروحها جهارا ولا يخشون سوطا لضارب
يقولون سيروا إن ظفرتم بنهبة على رسلكم لاتحدروا درك طالب (٣)
وإن تسفكوا فيها الدماء فإنها لكم هدر لا تحذروا من معاتب

ويتساءل أين حماة الديار ، أين الحكام ؟ :

فياليت شعري هل سراة حماها نيام فهم ما بين لاه ولاعب ؟
أم الحد منهم كل أم زندهم كبا ؟ أم القوم غروا بالاماني الكواذب ؟
لقد كان تخشى بأسهم أسد الشرى فصارت بهم تعشو صفار الثعالب

(١) ديوانه الحصر : الضيق والاحتباس وقد عبر بالمصدر مكان اسم المفعول
والمقصود : ضيقة .

(٢) التذكرة ١/١٠٩ - ١٠٠ . (٣) النبهة مصدر كالنهب .

ثم يرسل الحكم والامثال ، التي اعتاد أن يوشح بها أفكاره ، في أسلوب الاستنهاض والتحريض :

وانى يحوط الملك إلا سميدع يخوض لظى الهيجاء ليس بهائب
ولا دين إلا بالجهاد قوامه ولا امن إلا بعد عدل القواضب
ولا مجد إلا بالشجاعة والندى وجر العوالى فوق مجرى السلاهب
فكيف تنام العين منك عن العدى وقد اوقدوا للحرب نار الجباحب (١)
فبالبيض مع سمر القنا تدرك المنى وبالجود والاقدام نيل المطالب

وقد كانت هذه القصيدة مؤثرة جدا في نفس الإمام فيصل،
فأرسل إثرها جيشا بقيادة ابنه عبدالله قضى على العجمان ، وقتلهم
تقتيلا ، لم تقم لهم قائمة بعده .

- ٢ -

والقضية الثانية ، أو المرحلة الثانية من مراحل الشعر السياسي
الذى قيل إبان ولاية عبد الله بن فيصل ، وأكثر من قاله ابن
سحمان الذى دعاه إلى القوة ، والحزم قبل فوات أوانهما ،
والحذر من الأعداء المحيطين به من قريب ومن بعيد ، مهما كانوا
وكانت وشائجهم التى يدلون بها (٢) :

وإياك أن تفتخر منهم بمنطق لبيب فان السم قد يمزج الشهدا
فمن ماضى من مكرهم وخداهم دليل وارشاد لمن يتبع الرشدا

(١) الجباحب : ذباب ذو الوان . يطير في الليل في ذنبه شعاع كالسراج ويضرب
المثل بنار الجباحب في الضعف .

(٢) ديوانه : ٢٨١ .

ويحرضه على الاعداء المصريحين بالعداوة ، ليقضى عليهم قبل أن تشتد أنيابهم وأظافرهم فيغزونه في عقر داره (١) :

ادم بالعوالى الطعن في الضد إن جدا وبالبيض قدا للعدا [تعتل المجدا]
وليس ينال الفخر عاشق راحة ومستوطىء فرش التكاسل ما اعتدا
فعجز مداراة العدا بعد ما بدت مظهارة منهم إذا لم تجد بدا

ثم يشد انتباه الإمام بالحكمة العسكرية الهامة :

ومن لم تخف منه العدا في بلادها اخافته في أوطانه وانتضت غمدا (٢)

وتأتى المرحلة الثالثة مرحلة تقلص النفوذ السعودي ، والخلاف بين أولاد فيصل ، ورغم ان ابن سحمان عرف بصراحته فيما يعتقد أنه لا أننا لا نرى له شعرا في ذلك ، وربما أسقطه من ديوانه عند طباعته أول مرة ، وربما لم يقل شيئا ، وهو رجل لا شأن له بالسياسة ، وليس له مكانة تحميه من السيف المصلت ، في فترات الحكم المتعاقبة ، إن تجيز لأحد ، لكن رجلا آخر كان أقوى جانبا من ابن سحمان ، لم يكن أحد من الامراء يستطيع أن يصلت في وجهه السيف ، قد صور لنا هذه الحقبة المظلمة القاسية من التاريخ ، قال عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، يلوم عبد الله ابن فيصل الذى استعان بأعدائه الأتراك ، ويدعو على العلماء

(١) ديوانه : ٢٨١ وانظر قصائده التحريضية : ٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٣٠٧ . وفي

الأصل تعتلى مجدا .

(٢) انتضت : نزع وتخلعت .

الذين رأوا أن بيعته باقية في الأعناق (١) :

يارب واحكم بيننا في عصابة	شدوا ركائبهم إلى الشيطان
سلوا سيوف الفي من أعمادها	وسعوا بها في ذلة وهوان
صرفوا نصوص الوحي عن أوضاعها	وسعوا بها في زمرة العميان
وقضوا بأن العهد باق للذي	ولي الولاية شيعه الشيطان
وقضوا له - بالجزم - أن متابه	قد هد ما أعلى من البنيان
وطلابه للأمر والحرب الوبي	ء على طريق العفو والففران

وفي قصيدته الثانية يشرح حالة الخلاف السياسي ، ويذم الأخوة الثلاثة الذين اختلفوا على الحكم ، وخاصة عبد الله الذي زاد القضية تعقيدا لما استعان بالأتراك (٢) :

وجر زعيم القوم للترك دولة	على ملة الإسلام فعل المكابر
وآخر يبتاع الضلالة بالهدى	ويختال في ثوب من الكبر وافر
وثالثهم لا يعبوء الدهر بالتي	تبيد من الاسلام عزم المذاكر

ويمضى في تقريره لهم خاصة عبد الله ، ويتنبأ له بالنهاية الأليمة حيث استجار بظلم الترك كمجير أم عامر :

(١) الدرر السنية : ١٩٤/٧ ويلاحظ في القصيدة أن الجامع علق على البيت الأخير منها : هذا آخر ما وجد من المنظومة ، ويمكن أن نستنتج من هذا التعليق أن للقصيدة بقية والا فها معنى الإشارة هذه ، وقد ذكر منها حوالي تسعين بيتا ، وأن هذه القصيدة قيلت في ظروف لا تساعدنا رسائله المثبتة في الدرر على شرحه ربما كان في أواخر الخلاف بين آل سعود .

(٢) الدرر السنية : ١٩٠/٧ .

فقل للغوى المستجير بظلمهم ستحشر يوم الدين بين الأصاغر
ويكشف للمرتاب أي بضاعة أضع وهل ينجو مجيرام عامر؟

لقد أحاطت بالرياض عاصمة الدعوة ثلاث بلايا ، في واحدة
منها مهلكة فكيف بها مجتمعة ، اختلاف الأسرة الحاكمة ،
وهجمات الشمري محمد بن رشيد ، وحملات الدولة التركية ،
وهذا أحمد بن عيسى يطلق صرخته في الظلام الدامس إلى أولاد
فيصل ويحثهم على نبذ الخلاف ، في وجه الخطر الداهم (١) :

متى ينجلي هذا الدجى والدياجر؟ متى ينتهض للحق منكم عساكر؟
متى تتجدد دعوة حنيفة يكون لها بالصدع ناه وأمر؟
فحتى متى هذا التواني عن العلى كأنكم ممن حوته المقابر؟
الم يك للأسلاف منكم مناقب الم يك للاخلاف منكم مفاخر؟
أيام فخر العوجاذوي البأس والندى أجيبوا جميعا مسرعين وبادروا

والمرحلة الرابعة في عهد الملك عبد العزيز ، نجد الشعر
السياسي يقف مساندا الملك عبد العزيز . ولابن عثيمين دور
كبير في هذا المجال ، قال في صلح عقده الملك ، لكن القراء

(١) عقد الدرر : ٧٨ و التذكرة : ٢٠١/١ ، وقد جزم الشاعر ينتهض وتتجدد
دون جازم لإقامة الوزن وأهل العوجاء يقصد بهم أهل الدرعية المدينة التي
أصبحت إحدى قرى الرياض ، التي أخذ منها مدلول الكلمة، فأصبح يطلق
على أهلها أهل العوجاء وهو لقب يفتخر به حماة الدعوة ، مأخوذ من
رواية مفادها أن الإمام محمدا دعا الناس إلى قول لا إله إلا الله محمد
رسول الله وهي كلمة لم يجد الناس العوام آنذاك نطقها فضلا عن فهم
مدلولها ، وتطبيقه فقالوا هذه كلمة عوجاء أي ملتوية فقال أهل الدرعية
نحن أهل العوجاء .

والإخوان ذموه ، وألحوا بتخطئته (١) :

إذا عقد الصلح الإمام لكافر يرى أنه لا يستطيع يطاوله
وفيه لدينا صلاح وديننا ودفع أذى عنا تخاف غوائله
فذا جائز في الشرع من غير شبهة فيا ليت شعري هل يفند قائله

كما دعا الناس من بايع منهم ان يثبت على البيعة ، ومن
لم يبايع إلى البيعة لهذا الإمام العادل (٢) :

علينا لك الرحمن أوجب طاعة بنصر وبرهان تلوح دلائله
فقال أطيعوا الله ثم رسوله وذا الأمر يدره الذي هو عاقله
فيا معشر القراء دعوة صارخ بكم إن يكن فيكم حليم نسائله

وظهر دور الشعر ومشاركته أثناء مشكلات الإخوان ،
ويبدو أن البدو في الجزيرة لا ينفكون ، يعيدون سيرة أسلافهم
العجمان مع جد الملك عبد العزيز فيصل بن تركي ، لم يتغير شيء
منهم إلا العمامة والاسم فهؤلاء الإخوان • وأولئك العجمان ،
والروح واحدة ، هي روح البداوة التي لا تلين لحاكم ، وهذا
ابن عثيمين أيضا يدعو القراء إلى الهدوء والطاعة (٣) :

(١) الديوان : ٢٤٣ - ٢٤٥ ويلاحظ ان ابن عثيمين يشير الى بعض الحوادث
في تاريخ الملك عبد العزيز ، ذات الجوانب الفاضلة ، وقد أثر الشارح
للدیوان اهمال هذه النقاط وعدم توضيح مناسباتها ، أو شرحها شرحا عابرا
لا يكاد يبين .

(٢) ديوانه : ١٤٣ - ١٤٥ .

(٣) ديوان ابن عثيمين ١٢٣ - ١٢٤ يرقى : يستاصل العرق .
وقد قطع الشاعر همزة الافتراق لضرورة الوزن .

فيا معشر الإخوان دعوة صارخ
يود لكم ما يمتنيه لنفسه
تحاموا على الدين الهدى مع امامكم
وياكم والإفتراق فإنه
لكم ناصح بالطبع لا متحلق
ويعلم ان الحب في الله أوثق
وكونوا له بالسمع جندا توفقوا
هو الهلك في الدنيا وللدن يوبق

ويقاسمهم بالإيمان المغلظة أنه لا يرى أصلح ولا أعدل من
هذا الحاكم ، الذي رفضوه :

فوالله ثم الله لا رب غيره
ولا قاصد يوما بقولى مكانة
لما علمت نفسي على الأرض مثله
عسى أن نراها سيرة عمرية
ففيه ولا نعدمه تبدو مخايل
يمين امرئ لا ممتر يتملق
ولا عاجلا للدين والسمت يعرق
إما ما على الإسلام والخلق يشفق
يدين لها غرب البلاد ومشرق
بها العز للإسلام والمك يورق

ولا يفتأ الشعراء يحرضون الملك على عدم الهوادة مع
الأعداء ، وعدم الوثوق بمن غدر ، وعدم الاطمئنان إلى الأشرار ،
والاعتماد على الرجال الفضلاء ، ذوى العناصر المنجبة في بناء
الدولة ، قال ابن سحمان (١) :

ومن كان قدما قد أساء فأسقه
وينحسم الداء العضال وينتهى
وأحسن فبالإحسان تستعبد الورى
ولا يملك الأعراب ذاك لانهم
فخفهم وجانبهم ولا تأمنهم
ذعافا لكى يدرى وينزجر اللد
ذو الفئان راموا فسادا وأارتدوا
وتملكهم والحر يملكه الرشد
كما قيل أصنام لها الكسر والهد
وآلف بنى الأحرار إذ هم لك الجند

(١) ديوان ابن سحمان ٢٨٥ .

وفي ولاية العهد دخل الشعر المعركة ، فأول من اشاع أو طلب ولاية العهد لسعود في مجامع الناس - ابن عثيمين حينما قال يخاطب الملك عبد العزيز عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م) (١) :

واشدد عرى الدين والدنيا بمؤتمن من عنصر السادة الفر الميامين
تلتك في خلقك السامى خلائقه تلو المصلى المجلى في الميادين
فرع الائمة والاذواء من يمن أهل القباب المطاعيم المطاعين

ويتبين من ذلك ان ابن عثيمين كان أكثر الشعراء عناية بالجانب السياسي ، في مديحه ودفاعه عن الدعوة ، بينما نجد ابن سحمان يتقف في الجانب الفكري (٢) .

(١) ويمكن ان يكون شعره هذا بايعاز من سعود ، أو بإشارة من عبد العزيز على طريقة معاوية مع مسكين الدارمي ، ويؤيد الاخير قول ابن بليهد عام ١٣٥٢ هـ حين بويع سعود بولاية العهد .
رايت بعام الاربعين اشارة بها عرفت منك الولاية والعهد
انظر الابتسامات : ١٣٠ - ١٣١ ، ويقصد الشاعر بالاذواء من يمن احوال الملك سعود آل عرعر .

(٢) الحركة الادبية ٨٠ .

شعر البكاء والرثاء والشكوى

- ١ -

وشعر البكاء ، والرثاء ، والشكوى ، أغراض عديدة ، منها ما بكى المدن والحوادث والكوارث ، وما رثى العلماء والزعماء ، وما شكى تغير الزمان ، وتفرق الصحب ، وشتات الشمل ، وهي ثلاثة أغراض ، تفارقت في أسمائها ومدلولاتها ، وتألفت في شعر الدعوة ، فلم يكن مناسباً ، الفصل بينها ، لا سيما وهي أغراض متشابهة يمسك بعضها بحجز بعض ، فقصائد بكاء المدن التي يتكون من البكاء غرضها الأول ، ترثى العلماء ، وتبكي شتات الأمة ، وتشكو بأساء الحياة ، ومثل ذلك يقال عن قصائد الرثاء ، والشكوى .

أما بكاء المدن والدول ورثاؤها فقد بدأ أول مرة مع كارثة الدرية العvisية عام ١٢٣٣ هـ ، التي رثاها الشعراء ، وتحدثوا عن هول الكارثة ، وبطش الظالمين بها وكان لسقوطها وقع مخيف على الأذهان فقد قتل الغزاة دون رحمة ، وأجلوا أهلها ثم نسفوا

بيوتها نسفا ، حتى لم تعمر بعد^(١) ، ومن الشعر الذي قيل فيها
قصيدة ابن مشرف^(٢) :

اليل غشا الدنيا أم الأفق مسود؟ أم الفتنة الظلماء قد أقبلت تعدو؟

لكن القصيدة التي اشتهرت على الألسن ، وبكت الكارثة
حتى أبكت الناس قصيدة عبد العزيز بن حمد بن ناصر المعمر ،
التي صور فيها بطش الفاتحين^(٣) :

وكم قتلوا من عصبة الخير فتية	هداة (وضاء) ساجدين وركعا؟
وكم دمروا من مربع كان أهلا؟	فقد تركوا الدار الانيسة بلقعا
فاصبحت الاموال فيهم نهائبا	واصبحت الأيتام غرثى وجوعا
وفر من الإخوان من كان قاطنا	وفرقت الف كان مجتمعا معا

ثم دعا الناس إلى الصبر على قضاء الله ، ونبذ اليأس ورأب

(١) زعم بعض الباحثين المحدثين (انظر الحركة الأدبية : ٢٦٧ - ٢٦٨) أنه
لا يوجد من رثاء المدن إلا قصيدة واحدة في الأدب السعودي كله هي رثاء
الدرعية لابن مشرف التي مطلعها :

يا غربة الدين فاعجب من تقربه عند المصدق فضلا عن مكذبه
وهذا الكلام فيه تعميم لاصحة له فرثاء المدن سواء في سقوط الدولة
السعودية الأولى ، أو الثانية كثير كما سنعرض له . على أن القصيدة التي
زعمها الكاتب « من رثاء المدن وأنها قيلت في سقوط الدرعية عام ١٢٧٩ هـ
في عهد الامام فيصل بن تركي » انما قيلت في الشكوى ، لا في رثاء المدن
وسقوط الدرعية إنما كان عام ١٢٣٣ هـ في عهد عبد الله بن سعود . وقال :
« لا نجد شاعرا وصف نجدا ، وما آل اليه امره بعد معاركه مع المصريين »
والشعر الذي يأتي في هذا الفصل ينفي هذا الرأي .

(٢) ديوانه ٥ - ٥١ .

(٣) عنوان المجد ٣٧/٢ ، وهو أديب فقيه حسن السميت والسيرة ، ذو شهرة
بالعلم والدين توفي عام ١٢٤٤ هـ (١٨٢٨ - ١٨٢٩ م) .

الصدع ، وانتظار الفرج (١) :

الا ايها الإخوان صبرا فإنني أرى الصبر للمقدور خيرا وأنفعا
ولا تيأسوا من كشف ما ناب إنه إذا شاء ربي كشف ذلك تمزعا
عسى وعسى أن ينصر الله ديننا ويجبر منا اليوم ما قد تصدعا
ويعمر للسماح ربوعا تهدمت ويفتح سبلا للهداية مهيعا

ويبدو أن القصيدة قيلت في ساعة النكبة ، حيث جث
القتلى ، وأشلاء الجرحى ، ودموع الأحياء من عراة وجوع ،
ومذعورين وفارين ، لأن الشاعر يجهش بالبكاء ويلح في اللدعاء
إلى الباري أن يفرج البلاء ، ويفيئ الأحياء ، ويغفر للأموات :

فيا محسنا قد كنت تحسن دائما ويا واسعا قد كان عفوك أوسعا
اغثنا ، اغثنا ، وادفع الشدة التي أطابت وصابت واكتشف الضروارفعنا
وجد ، وتفضل ، بالذي انت أهله من العفو والغفران ياخير من دعا (٢)

- ٢ -

أما شعر النكبة الثانية ، فترة التاريخ الأسود ، من الخلاف
الدامي ، في داخل البلاد ، والهجوم المتتابع من أطرافها ، حيث
البدو الذين يسطلون على نار الفتنة أينما شبت ، والجيوش
الجرارة تنقض من العراق إلى الأحساء ونجد ، ومن مصر إلى
الحجاز والمخلاف وعسير ، فضلا عن الحكم الشمري الذي كان

(١) عنوان المجد ٣٧/٢ و ٣٨ . وانظر ص ١١٦ من الكتاب وضاء جمع وفيه
وفي الاصل : وضاة .

(٢) كذا في الاصل ولعلها تحريف عن : ياغوث من دعا .

شره أكثر من خيره ، في غالب الأحوال ، فكان شعر الشكوى ،
 والبكاء ، والرثاء ، شكوى كل بلايا الأمة من الداخل والخارج ،
 واضطراب الأمن وذهاب العلم ، وتفرق الأخوان ، ودمار البلاد ،
 وكثرة الأمراض الاجتماعية والسياسية ، التناحر على الرياسة ،
 والشقاق والحسد ، ووقوع العلماء بعضهم يلغ في الآخرين ، وينال
 منهم ، قال ابن مشرف يصف فشو الأمية وغلبة الجهل ^(١) :

أما ترى الجهل بين الخافقين فشا والعلم أغرب من عنقاء مغربه
 أعلامه درست في كل ناحية واليوم يصدق في أعلى مخربه

وفي قصيدتين تبودلتا بين عبدالعزيز بن طوق ، وعبد اللطيف
 ابن عبد الرحمن آل الشيخ ، شكوى وبكاء موثران ، كتب
 ابن طوق من الاحساء يشكو من الويل والبلاء ^(٢) :

وأعظم من ذا يا خليلي كئائب تهدم من ربع الهدى كل عامر
 ويبدو بها التعطيل والكفر والزنا ويعلو من التأذين صوت المزامر
 أناخ لدينا للضلالة شيعة أباحوا حمى التوحيد من كل فاجر

ويصف الأعداء الطاعنين من الداخل ، من المداهنيين
 والخواريين :

(١) الديوان : ٤٣ وهذان البيتان من القصيدة التي مر ذكر مطلعها : ياغربة الدين .

(٢) عالم من علماء نجد ، لم يذكر له المؤرخون إلا هذه القصيدة التي أرسلها
 من الأحساء إلى عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، في السنين العvisية يطلب
 جوابها (انظر الأدب الحديث في نجد : ٢٣) . وانظر ص ١٢٠ من الكتاب .

وقابلهم بالسهل والرحب عصبه على أمة التوحيد اخبث ناثر
يقولون : لكننا رضيـنا تقيـة تعود على أموالنا والذخائر
فضحك ولهو واهتزاز وفرحة أوالنوان مأكول ونشوة ساكر
مصاب يكاد المستجن بطيبة ينادى بأعلى الصوت: هل من مثابر (١)؟

ويجيـه عبد اللطيف بن عبد الرحمن بقصيدة وصف فيها
الذكريات الماضية ، اجتماع الشمل ، وحلقات العلم ، وعزة
الإسلام ، والليالي المقمرة ، والأيام الطيبة التي قضـاها في نجد
أيام عزها (٢) :

تذكرني أيام وصل تقدمت	وعهد مضى للطيبين الأكابر
ليالي كانت للسعود مطالعا	وطائرها في الدهر أيمن طائر
وكان بها ربيع المسرة أهلا	تمتع في روض من العلم زاهر
وفيه الحماة الناصرون لربهم	معاقلم شهب القنا والخناجر

ثم يبكي الواقع المرير ، حين جاءت الفتنة الهوجاء من
الجنوب ، من شعوب يام والدواسر ، يقادون ليخربوا ما عمر
الله ، ويبيـكـي القتلى واليتامى والأرامل والأيامى ، وهتك ستر
الحرائر ، وجوع الصبية في الشتاء القارس :

وبدلت منهم أوجها لا تسرني	قبائل يام أو شعوب الدواسر
يذكرنيهم كل وقت وساعة	عصائب هلكى من وليد وكابر
وارملة تبكى بشجو حينها	لها رنة بين الربي والمحاجر

(١) كذا في الأصل ولعلها تحريف عن : هل من مناصر .

(٢) الدرر السنية : ١٨٨/٧ .

واضحى بنو الإسلام في كل مازق تزور هموغرثى السباع الضوامر
وهتك ستر للحرائر جهرة بأيدي غواة من بواد وحاضر
وبات الايامى في الشتاء سواغبا يبيكين ازواجاً وخير العشائر

وبكوا الفساد السياسي ، وخراب الديار ، وانقطاع أوامر
التعاون ، بين العلماء والزعماء ، لكبح جماح الأشرار حيث مال
كثير منهم الى المداجاة والمواربة ، حتى بقى الفارس المدافع
وحيدا في الميدان ، قال ابن سحمان (١) :

وقد صالح الإخوان والالف والذي اناضل عن احسابهم كل ثالب
وقال (٢) :

أعلل نفسي بالرجاء اريحها ويطرقها طيف الأسى فتنكس
أقلب طرفي بين صحبي فلا أرى سوى من بأكبال الإسار مكوكس
غريب بعيد الدار تعلوه ذلة إذا مارأى المكروه يفضى ويخرس

وقال عبد اللطيف بن حسن يشكو نفس الشكوى : العلماء
الذين كانوا يدا واحدة على الأعداء ، فدب اليهم الخلاف ،
وتفرقت بهم السبل ، فأصبحوا أذفا با ضعيفة ، وأخذ بعضهم
بعرض بعض قدحا وعبيا (٣) :

أشكو اليك حوادثا أنزلتها فتركتنى متواصل الأحزان
لولا رجائك والذي عودتنى من حسن صنعك لاستطيرجنانى

(١) ديوانه : ٢٢٨ .

(٢) التذكرة : ٢٠٩/١ .

(٣) الدرر السنية ١٩٢/٧ والتذكرة ٢٠٥/١ - ٢٠٦ .

من لى سواك يكون عند شدائدى إن انت لم تكلا فمن يكلانى ؟
يا رب واحكم بيننا في عصة شدوا ركائبهم إلى الشيطان
سلوا سيوف البغى من اغمادها وسعوا بها في ذلة وهوان
واستبدلوا بعد الدراسة والهدى بالقدرح في صعب وفي إخوان
تبا لهم من معشر قد اشربوا حب الخلاف ورشوة السلطان

- ٣ -

وشكوا خراب دور العلم ، وذلة أهل العلم الذين كان لهم الأمر والنهي ، فأصبحوا يحجبون بنظرات الريبة ، ويتهمون بإفساد الأمور ، بعد أن كانوا هم المصلحين ، حسبك أن ابن رشيد حاكم نجد ، كتب إلى عامله على الرياض : أن قل لابن سحمان ، لئن لم تنته عن قول الشعر لأقطعن لسانك ، أو أخرجك من أرض نجد إلى بلادك التى قذفت بك إلينا ، ويزداد الأمر سوءً على رجال العلم والإصلاح حتى نرى الحاكم الشمري يكتب للناس منشورا عام ١٣١٦ هـ ، بأن لا يتكلم أهل العلم بشيء من أمور الدين ، وأن يتركوا تدخلهم في الدولة الذي يسمونه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهذا ما صورته ابن سحمان حين سمع هذا الكلام بالميمية المشهورة ، التى وصف فيها إقبال الناس على حطام الدنيا وزخارفها (١) :

على الدين فليبك ذوو العلم والهدى فقد طمست أعلامه في العوالم
وقد صار إقبال الورى واحتياهم على هذه الدنيا وجمع الدراهم

(١) انظر التذكرة : ٢١٢/١ ، ٢١٤ والقصيدة في الديوان : ٢٢٢ ، ٢٢٤ .

واصلاح دنياهم بافساد دينهم وتحصيل ملذوذاتهم والمطاعم
يعادون فيها بل يوالون اهلها سواء لديهم ذو التقى والجرائم
إذا انتقص الإنسان منها بما عسى يكون له ذخراً أتى بالعظام
وأبدى أعاجيباً من الحزن والأسى على قلة الأنصار من كل حازم
وناح عليها أسفا متظلماً وباح بما في صدره غير كاتم

وذكر مقابل ذلك إهمالهم لما يتصل بالدين والإصلاح من
قوة وعزيمة ، وشكى الجاهلين وبكى العلماء •

فأما على الدين الحنيفي والهدى وملة إبراهيم ذات الدعائم
فليس عليها والذي فلق النوى من الناس من باك وآس ونادم
فلا أمر بالعرف يعرف بيننا ولا زاجر عن معضلات الجرائم
فيا محنة الإسلام من كل جاهل ويا قلة الأنصار من كل عالم
وهذا أوان الصبر إن كنت حازماً على الدين فاصبر صبراً هلهل العزائم

وابن سحمان أكثر الشعراء بكاءً وشكوى ، لأنه ظل مكافحاً
لا يلين ، ولا يلقي السلاح ، رغم الوعيد والتهديد ، ولأنه عاش
الفترة المظلمة كلها أكل من شبابها ، وأكلت من كهولته ، قرابة
ربع قرن ، وأحسبه أشد دينا ، وأوعى بصيرة وضميراً من ابن
عشيمين ، الذي أدرك من السنين العجاف قدر ما أدرك ابن
سحمان ، وشعره وشخصيته تدلان على صراحة واستقلال في
الرأي عرضاه لغمط الأقرباء ، ومشاحنة العلماء والأصدقاء
وضراوة الأعداء ، وقيد الحكام •

وله قصائد في هذا الغرض متفرقة في ديوانه ، بعضها ضمن

قصائد دفاعه عن الدعوة ضد المهاجمين ، وبعضها مستقل^(١) .

وتجد حديث الذكريات وافيا في هذه الفترة ، يعود الشعراء بالذاكرة إلى أيام صباهم وشبابهم ، لا ليتذكروا الغزلان والمها ، بل ليتذكروا اجتماع الشمل ، وعزة الدولة ، والأمن والخصب ، وارتياح البال ، حتى يتصور المرء في تلك الفترة أساقذته ومرييه معه ، وانما هو في خيال حالم^(٢) :

فأيامه بالأنس غر صوالح	فلله عصر بالمسرات قد مضى
وما ناح للأطيار في الدوح نائح	فوالله ما أنساه ما هبت الصبا
يناد منى منهم على النأي ناصح	ولله أصحاب على البعد والنوى

وقال ييكى تمزق الشمل بعد خراب الديار ، وذل العلماء والزعماء :

وبدلت أفراحا بأفراح جمة	وعهد تقضيناه بالأنس وانقضى
بكل مكان فرقة من أحتى	فبدد شمل كان بالصحب شاملا
اليهم تتوق النفس كل عشية	ففى بلد الأفلاج منهم عصابة
له همة تسمو به فاشمعلت	وبالهند منهم صاحب أي صاحب
وحالت بحار دونه واستقلت	فاخضلت دمع العين لما ذكرته
فوطنت نفسي باللقا فاطمأنت	وجالت بى الأشجان من كل جانب

ويتحسر متسائلا ما جدوى العيش بعد فراق من نحب ،

(١) انظر القصائد في الديوان في الصفحات : ٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٠٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ .

(٢) ديوان ابن سحمان : ٢٥٥ .

في هذا الجو الخائق ، الذى يقضى فيه الرجل المجاهد ، ويشتت العلماء ، ويبقى الانسان ينتظر من الدنيا كل عذاب :

لعمري لقد أضرى بى الوجد جذوة على عهد أنس بالهنا والمسرة
فان لم يكن عهد المسرة عائدا فأية عيش يرتجى بعد أية ؟
فوا لهفى إن كان ليس براجع وواحر قلبى من غواش اظلت
وواجزعى ان ليس للدين ناصر وواحزنى من معضلات أجنّت

- ٤ -

أما رثاء الأشخاص فهو كثير ، والشيء الذى يذكر به هذا الشعر ، أنه اهتم بالعلماء أكثر مما اهتم بالزعماء والساسة ، وهذا من ثمار الدعوة الإصلاحية التي جعلت الشعر يتسم بهذه الظاهرة الغريب وقوعها في التاريخ ، لأن غالب فترات التاريخ الإسلامى كان فيها الشاعر مجرد موظف في قصر الحاكم ، للمديح والتهماني ، وإذا مات هذا الخليفة أو ذاك بكى بكاء شخصياً لكن أكثر الحاكمين من آل سعود ، لم يتخذوا من الشعراء موظفين ولم تكن تربطهم بشعراء عصرهم أكثر من رابطة الإعجاب من الشاعر ، بالحاكم الصالح ، والتقدير من الحاكم للمواهب ، والنابعين ، الذين يجاهدون بألسنتهم وأقلامهم عن حياض الدعوة .

ولذلك سبب آخر ، فكل الشعراء الذين تتحدث عنهم

إنما هم شعراء بالتبعية ، علماء بالأصالة ، فإعجابهم بالعلماء وتأثرهم بهم ، وتعلقهم لا يرقى إليه أي اعتبار .

وقد ركزوا في الرثاء على الصفات الخلقية والثقافية التي تتصل بالدين أكثر من غيرها ، إضافة الى الثناء على الميث بالصفات التقليدية ، قال حسين بن نفيسة يرثي عبد الله بن خاطر^(١) :

فان رمته في الدين فأت نديه تجد كل من يروى الحديث ويخبر
بتعليم قال الله قال رسوله وما قاله الأصحاب بعد وكرروا
تري الأمهات الست من جل كنزه وفي كتب الشيخين دوماً يذكر

ثم يمضي في الصفات التقليدية :

وإن رمته في الحرب فهو ضرامها إذا كلحت أنيابها فهو مسعر
فمن مثله للوافدين مؤمل إذا أجذبت أوطانهم ثم أعسروا
أما فيما عدا ذلك ، فهو كأغراض الشعر الأخرى التقليدية التي ليس عليها طابع واضح يتميز به شعر الدعوة من غيره ، من

(١) التذكرة : ١١٧/٢ - ١١٩ حسين بن نفيسة شاعر من طراز ابن بليهد في كثرة الشعر ومستواه ، له ديوان مطبوع توفي بعد عام ١٢٧٥ ، ويأتي تفصيل عنه في فصل الشعر في نجد له قصائد في التذكرة ، وعبد الله بن خاطر جواد من الكرام ، الذين نالوا زعامة وذكرًا في ساحل الخليج ، وكان محباً للخير ، نافعا للعلماء وطلاب العلم بالبر والصلة ، وطباعة الكتب .

أجل ذلك ، تركت الحديث عنها إلى حين آخر ، ولعل ما تقدم
بيانه من الأغراض يعطى دليلاً واضحاً على أن الشعر قد تأثر
وأثر في الحياة الجديدة التي امتدت قرنين من الزمان تأثراً
واضحاً^(١) ، بصورة قوية واضحة .

(١) يرى بعضهم (شعراء نجد : ٢٣) « أن الشعر لم يكن يعطى صوراً حقيقية
عن بيئة الشاعر ومجتمعه ، ومستوى حياته المادية الروحية ، والفلسفة
العامة بخبايا النفس الذاتية بقدر واف » أما اعطاؤه صورة من البيئة
سياسية أو اجتماعية أو فكرية فذلك ما تبين في هذا الفصل ، أما فلسفة
خبايا النفس فتلك رومانتيكية مفرقة واني للشاعر في هذا الجو المليء
بالفتن أن يفرغ لنفسه ، وهو ليس بدعا من الشعراء أما الذين زعموا أن
موضوعاته كلاسيكية لم تتغير لتواكب الحركة الإصلاحية (شعراء نجد :
٢٣) (والأدب الحديث في نجد : ٢١) ففي هذه الفصول ما ينفي ذلك
الرأي كما ذهب الأستاذ ابن ادريس إلى أن الشعر لم يعبر عن جوانب
الحياة الروحية إلا بقدر ضئيل جداً ، وأن أغراضه لم تخرج عن إطار المديح
والهجاء والثناء إلا فيما ندر (شعراء نجد : ٢٤) ، وفيما عرض شعر عبر
عن الحياة الروحية تعبيراً واضحاً كبيراً ، وفيما عرض من موضوعات جديدة
ما ينفي هذا الرأي .

الفصل الثاني
الشُّعَرَاء

أحمد بن مشرف

- ١ -

ينتمى إلى المشارفة من الوهبة ، من تميم ، ولد في « الزبارة » من قطر ، وقضى فيها مدة من الزمن^(١) ، ثم هاجر إلى الأحساء ، ولعل ذلك لطلب العلم ، ودرس على علمائها ، خاصة حسين بن غنام المالكي ، ودرس المذهب المالكي ، حتى شدا فيه وفي علوم عصره الدينية والعربية ، وخاصة الفقه والحديث ، ثم يم شطر نجد ، يتعلم ، ويدرس وعاد إلى الأحساء وتولى قضاءها في آخر أيام الإمام فيصل ، وأول أيام ابنه عبد الله وتوفي عام ١٢٨٥ هـ . (١٨٦٨ م)^(٢) .

وكانت له صلة بكبار عصره ، ووجاهة عند آل سعود يقدرون فيه الرجل العالم ، والشاعر الجريء ، وقد استعان به أهل الأحساء ، لإبقاء الأمير محمد السديري في إمارة الأحساء ، لما يعرفون من وجاهته عندهم ، وكان الأمير قد نقل إلى القصيم فأعادوه^(٣) ، ، وكانت بينه وبين عبد اللطيف آل الشيخ صفة قوية ومراسلة^(٤) .

(١) ديوان الخلفي : ٢ .

(٢) تاريخ الاحساء : ١٠٩/٢ - ١١١ وفي عقد الدرر : ٤٥ انه توفي عام ١٢٨٤ هـ

(٣) التذكرة : ١٤٤/١ .

(٤) عقد الدرر : ٧٢ .

وتفيد المصادر أنه كان أعمى ، غير أننا لا ندرى أكان عماه
(عمه) منذ ولد ، أم انه حادث لمرض الجدري أو غيره .

له من الآثار مختصر صحيح مسلم ، ونظم رسالة أبي زيد
القيرواني في العقيدة^(١) اضافة الى ديوان شعر^(٢) .

وشعره أوسع سجل شعري لغزوات وحروب الإمام فيصل
فقد واكبه منذ البداية الى الانتهاء ويبدو أنه أدرك وهو شاب
كارثة الدرعية عام ١٢٣٣ هـ (١٨١٨ م) لأن له شعرا فيها ولم
يؤثر له شعر قبل فكبة الدرعية وبعد وفاة الإمام فيصل فلم يقل

(١) شرحها احد علماء البحرين .

(٢) طبع ديوانه مرة في الهند ، ثم في مكة طبعه عبد الرحمن بن قاسم في مطبعة
جريدة ام القرى ، ثم نشره ابراهيم الضبيعي في الرياض ١٢٧٠ هـ ،
ثم طبع على نفقة الشيخ على عبد الله آل ثاني ، وطبع أخيرا في مطبعة السنة
المحمدية عام ١٢٨٦ هـ (معجم المطبوعات السعودية مقالات ، على جواد الطاهر ،
العرب . جادى الأولى ١٣٩١ هـ) ومن مراجعه ديوان الخليفى (المقدمة) : ٢ ،
شعراء هجر : ٧٧ ، الموسوعة ٢٨٢/١ ، الأدب الحديث في نجد : ٣٢٩
عقد الدرر : ٤٥ و ٧٢ ، تاريخ الأدب العربى للدفتردار وكحيل : ٢١/٤
تاريخ الاحساء : ١٠٩/٢ - ١١١ ، التذكرة : مواضع متفرقة من الجزء الاول
تبدا بحوالى الصفحة المئة وتنتهى دون المثنتين أهمها : ١٨٢ و ١٨٣ ، والحركة
الادبية ٦٠ .

وقد عده صاحب الأدب الحديث من شعراء نجد واعتمد شعره
ضمن الشعر النجدى في الحكم على خصائص الشعر النجدى ، والواقع
ان الشاعر - وان جاء إلى نجد دارسا أو مادحا أو وافدا - احسانى
المولد والمنشا والحياة والوفاة .

شيئا إبان الخلاف بين أولاد فيصل وقد توفي أثناءه (١) .

أما الموضوعات التي طرقها في شعره ، فقد طرق المديح ، وأكثر منه ، وأكثر مدائحه في الإمام فيصل ، الذي أعاد للدولة السعودية جدها بعد بلى ، وعزتها بعد ذل ، وكان رجلاً شجاعاً كريماً معطاء ، ومدائحه لغير فيصل قليلة ، ولا نجد له مشاركة في الأحداث السياسية قبل اتصاله بالإمام فيصل ، والشيء الغريب الذي يجدر بالدارس الوقوف عنده أن الرجل يطلب المكافأة على شعره (٢) :

فلولاه لم ترقص بنا العيس في الفلا من البيد تطوى فدنداً بعدد فدند
نرجى نوالاً لم تجد كف هوزة به قط للأعشى ولا كف أجود
فلما انخنا عيسنا بفنائها قضت كل مأمول وسؤل مقصد

بينما نجده في بعض قصائده سياسياً جريئاً ، يوبخ الحاكمين ، ويعرض عليهم مشكلات البلد ، ويعرض تخاذلهم عن قمع اللصوص بأسلوب ساخر .

وشعره في المديح يضم ثلاثة ألوان : المديح الخالص من

(١) ذكر ابن عبيد في التذكرة (١٤٧/١) أن آخر قصيدة قالها اللامية التي مطلعها :

على الوالى المهذب خير وال إمام المسلمين أخى المصالي
وهى التي أرسلها عام ١٢٨١ هـ إلى فيصل بن تركي وهذا وهم من المؤرخ
لأن الشاعر رثا فيصلا التوفي عام ١٢٨٢ هـ (انظر ديوانه ١٠٣) .

(٢) ديوانه : ١٤ .

المناسبات ، والتهافى بفتح ، أو الظفر على عدو ، أو مسير جيش ،
والثالث ليس من المديح ولكنه اتصل به عرض بعض القضايا
السياسية التي تتصل بالأمن ، وظلم العمال وغارات الأعراب ،
وتقارب قصائده في هذا الغرض العشرين (١) :

وهو كشعراء الدعوة يركز في المديح على نصر الإسلام
والتدين • قال في آل سعود (٢) :

همونصروا التوحيد بالبض والقنا فنال المنى بالنصر كل موحد
وكم غارة عشواء شنوا على العدا وكم طارف منهم حووه وملتد
وكم سنة أحيوا وكم بدعة نفوا وكم هدموا بنيان شرك مشيد
مع الصفات التي جرت عادة الشعراء امتداحها في الحاكمين
قال في مدح فيصل (٣) :

تراه لفعل المكرمات مشمرا إذا الجود والإقدام للناس أقعدا
يعامل من يرعى برفق وحكمة ويقمع منهم من طفى وتمردا
إذا اجتاز قوم بالنوال أجازهم فعاشوا بخير كلما راح أو غدا

- ٢ -

أما شعره الديني في الدعوة شرحاً ودفاعاً ، ومناقضة ، فهو
كثير سواء نظرنا إلى قصائده المستقلة (٤) أم إلى تردده في أثناء
القصائد •

(١) انظر ديوانه : ٤٤ و ٤٥ و ٥٢ و ٥٤ و ٥٦ و ٦٤ و ٦٦ و ٦٨ و ٧١ و ٧٢

و ٧٧ و ٨٢ و ٨٤ و ٨٦ و ٨٨ و ٩١ و ٩٤ و ٩٦ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٥ .

(٢) ديوانه : ٦٢ .

(٣) ديوانه : ٥٥ .

(٤) انظر ديوانه : ٢٧ و ٢٩ و ٣٠ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٨ و ٤٣ و ٤٨ و ٥١ .

تحدث عن غربة الزمان واندراس العلم ، وتكالب الفتن ،
حتى استغرب الشاعر أفعال المتمسكين بالدين فضلا عن
المتهاونين (١) :

واغربة الدين فاعجب من تغربه عند المصدق فضلا عن مكذبه

وكان لوجوده في الأحساء بيئة التشيع ، والمذاهب الكثيرة
في أصول الدين وفروعه ، من مالكية وأحناف وحنابلة وشافعية ،
وأشاعرة ومعتزلة وصوفية ، في خلالها تضيع الأهواء بين الأتراك ،
وآل سعود ، وآل عريعر ، أثر في اهتمامه بهذا الجانب الديني
منه والعلمي (٢) :

تحدث عن قضية الاجتهاد والتقليد (٣) :

فواحر قلبى من جهول مسود به يقتدى في جهله وشقائه
إذا قلت قول المصطفى هو مذهبى متى صح عندى لم أقل بسوائه
يرى أنها دعوى اجتهاد صريحة فوا عجبا من جهله وشقائه

وتحدث عن القبور المطاف بها (٤) :

لم يسلكوا منهج التوحيد بل فتنوا بكل ذى جدث في اللحد مقبور
هذا يطوف وهذا في تقربه يأتى اليه بمنحور ومنذور
وذا به مستغيث في شدائده يرجو الإجابة في تيسير معسور

(١) ديوانه : ٤٣ .

(٢) الحركة الادبية : ٦٣ .

(٣) ديوانه : ٢٩ .

(٤) ديوانه : ٢٧ .

ونعى على الناس ذهابهم إلى « عين نجم » في جو تسوده
الخرافة والأسطورة ، وكثير من اللهو والخنا ، وكانت عليها قبة :
ألا فاتركا عيناً تضاف إلى نجم فقبتها بالهدم أولى وبالرجم

أما شعره السياسي ، فقد تحدث فيه عن غارات الأعراب على
الأحساء ، وشكا فيه جور عمال الصدقة ، ونقد وحرص الإمام
فيصلا ، ودعاه إلى النكاية بالمفسدين يقول في ظلامته (١) :

إليك شددت العيس أشكو ظلامتي فقد رام خسفى حاسد وظلوم
وجار على العاملون بخرصهم وظلم الورى يوم الحساب وخيم

أما الأعراب فقد وصف عبثهم بالأمن ، في ثلاث قصائد ،
يقول في قصيدته الرائية إن الأعراب أساءوا الظن بالإمام فقالوا :

نغير على بلدانه ونخيفها ليعرفنا الوالى وينمو لنا الوفر
فإن لم نصب ما قد أردنا فإنه صفوح عن الجانى ومن طبعه الصبر

وكلمة الصبر هذه كناية أراد بها التحريض ، وقد صرح في
قصيدته البائية بنحو من هذه المقالة ، واستخدم كناية عن التخاذل
جديدة ، حين زعم ان حبيته رفضت وصاله وقالت :

أنا في ربي نجد وانت ببلدة أحاطت بها الأعداء من كل جانب

وهو يستخدم في شعره السياسي الصراحة بينه وبين الحكام
وعدم المواربة ، يدعوهم إلى القوة ، وفي البائية استخدم الشاعر

(١) ديوانه : ٩٧ .

كل الأساليب من وصف للمأساة ، وتعريض ، وتصريح ،
وتحذير ، وتحريض (١) :

حتى أن المؤرخينذكروا أن الإمام فيصلا تأثر منها تأثرا
شديدا ، مما دفعه إلى إرسال ابنه في جيش نكل بالعجمان ،
وخضد شوكتهم (٢) :

وابن مشرف في شعره السياسي إضافة إلى صراحته يدعو
إلى القوة ، وربما أرسل الحكم بصيغ التعريض الحارقة ، يقول
للإمام (٣) :

ما جرد الصمصام ذو همة عند اعوجاج الأمر إلا استقام
والجد لا يدركه مولع بلثمة الحسناء ذات اللثام
ويقول (٤) :

فهل يستقيم الدين إلا بدعوة إلى الله يتلوها سنان ومرهف؟
فمن لم يقومه الكتاب اقامه حدود الظبا والسمهرى المثقف

وغزل الشاعر تقليدى ، خاص بمطالع القصيد ، لا يأتى في
قصيدة مستقلة ، حسى متتابع التشبيهات للحبيبه التى تكون

(١) انظر جانباً منها في « الشعر السياسي » .

(٢) التذكرة : ١٠٩/١ ذكرها في حوادث ١٢٧٥ هـ .

(٣) ديوان ابن مشرف : ١٠٠ . (٤) ديوانه : ٨٢ .

غزالاً وبدراً يكتنفه الليل (١) :

فتاة كأن البدر غرة وجهها سوى أنه حيناً إذا تم يكسف
ترى الصبح يبدو نوره من جبينها وفي شعرها جناح من الليل يعكف

- ٣ -

والشاعر فيما يبدو يجيد من أغراض الشعر ما يتصل بالقوة ،
ولذلك يجيد في المديح ، ووصف الفتوح والمعارك ، ويحسن
التحريض ، لكن زنده يكل في الرثاء ، مات فيصل بن تركي ،
الذي مدحه الشاعر بأكثر من ثلاثين قصيدة فلم يستطع أن يقول
فيه غير أحد عشر بيتاً ، ليس فيها روح الحزن أو البكاء على
طراز قوله (٢) :

واخلى القرى من كل شرك وبدعة وما زال ينهى عن ركوب المحارم
ويعطى جزيل المال محتقرا له سماحا ويعفو عن كثير الجرائم

ولنتجاوز عما في عبارة ركوب المحارم ، فان الشاعر لا يملك
في هذه القصيدة شيئاً أحسن من هذا البيت الساقط .

أما شعره التعليمي ، فهو نوعان ما قاله في الأخلاق
والنصائح ، وهي الأجوزة المسماة « نغمة الأغاني في عشرة
الإخوان » تقع في قرابة ألف وثلاث مئة بيت من الرجز ، يتحدث
فيها عن الصداقة وشروطها وآدابها ، وحقوق الإخوان فيما بينهم

(١) ديوانه : ٨٣ .

(٢) ديوانه : ١٠٣ .

وتزاورهم ، وتعاونهم ، والتحذير عن شرارهم ، كقوله في تعريف الصداقة (١) :

وفسروا الصداقة بالحـب حسب الطاقـة
وقيل لفظ لا يرى معناه في هذا الـورى

وهو يستعين على ما يعرض ويقرر من أفكار بالقصص
الأسطورى عن الحيوانات والطيور ، والواقع من التاريخ ،
ليؤكد قضيته على طراز صاحب كـيلة ودمنة (٢) :

وله بعد ذلك منظومات في أصول الدين ، منها نظمه لرسالة
القيروانى ، وقصيدة الشهب المرمية في الرد على المعطلة والجهمية ،
قراءة مئة بيت ومطلعها :

نفيتم صفات الله فالله اكمل وسبحانه عما يقول المعطل

وقصيدة مختصرة في التاريخ •

(١) ديوانه ١٠٩ ومعهما احد الكتاب ٦٧٥ بيتا (الحركة الادبية : ٦٠) وذلك
لاعتباره البيتين من الرجز بيتا واحدا ، كما قدر شعره ب ٢٥٠٠ بيت
وعد قصائده بـ ٥٠ قصيدة .

(٢) رجح احد الباحثين (الادب الحديث في نجد : ٣٤٠) ان شوقيا تآثر بابن
مشرف في نظم القصص الخرافي لا بلا فونتين واستدل على ذلك بان شوقيا
جاء بعد الشاعر ، وهو راي غريب جدا فالقصص الخرافي معروف قبل
ابن مشرف ، قد نظم ابان اللاحق قبله كـيلة ودمنة شعرا ، وليس لابن
مشرف شهرة في شعره ولا ابداع في قصصه تجعل شوقيا يقتبس منه ، وقد
عرف الناس ان شوقيا حاكى لافونتين وقيل ذلك بمسمع منه فما اترك ،
ولو تآثر بشاعر عربي لكان اجدر بالإعتراف له منه لشاعر غربي .

وأسلوب الشاعر ، ومنزلته الشعرية ، وسط بين ابن سحمان ، وابن عثيمين ، لم يبلغ شأن ابن عثيمين ، وإن شاركه في تدفق الطبع ، وجريان الكلمات تنثال وتنهل ، وشعره أسلم من شعر ابن غنام من حيث الحرص على ترك التأنق ، ويمتاز شعره عن كل شعراء عصره ما عدا ابن عثيمين سواء منهم شعراء الدعوة أو غيرهم ، بقلّة الإهتمام بالزخرف اللفظي والمحسنات ، ولا تجد له تاريخاً أو تطريزاً أو تشجييراً أو تعجيزاً ، وسبب ذلك الوعي الديني ، وجدية الرجل التي نراها في شعراء الدعوة ، وهو ابن الدعوة ، في شعره نسماها تهب ، وعبرها يروق •

وهو متأثر بالشعراء القدامى ، وشعر أبي الطيب المتنبي خاصة واضح الأثر في شعره •

والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ظاهرة في شعره ، لا يكاد يتركها في سائر أغراض شعره ، حتى ليتمكن الحكم على قصائده بالتمام أو البتر ، نتيجة وجود أو عدم الصلاة ، وهي أثر من الروح الديني الذي تشبعت به نفسه ، وارتوت منه •

وإدلال الشاعر بشعره ومديحه له ، نعمة لزمها الشاعر ، في أواخر قصائده ، يهدى القصيدة العصماء إلى الإمام ، وكأنها

العادة الحسناء يوم جلوتها (١) :

ودونك من در القريض قصيدة تكاد لها الحذاق بالتبر تكتب
أتتك من الأحساء ترفل بالحلى وتختال في برد الشباب وتعجب
بها ينشط السارى إذا جلى السرى ويصبو لها الصب العنى ويطرب
بدت من بصير بالقوافي يصوغها وينظم منها درها حين يشقب

(١) الديوان : ٣٢ وانظر ايضا ٤٥ والتذكرة : ١٣٤/١ .

سليمان بن سحمان

- ١ -

ولد عام ١٢٦٧ هـ (١٨٥١ م) في السقا قرية قرب أبها^(١) ، عاصمة عسير ونشأ بها ، وانتقل مع والده الذي هاجر إلى الرياض عام ١٣٧٨ هـ (١٨٦١ م) ، أثر استيلاء الترك عليها ، واشتغل في الرياض معلماً لصغار آل الشيخ ، وقيماً على معاشات الإخوان فنشأ سليمان فيها ، وأخذ العلم عن كبارها ، كعبد الرحمن بن حسن ، وحمد بن عتيق ، ولازم عبد اللطيف بن عبد الرحمن عشر سنوات يكتب له ، وكان معروفاً بجودة الخط^(٢) . وهاجر مع أبيه إلى الأفلاج أيام الخلاف بين أولاد فيصل ، وفيها مات أبوه ، وعاد إلى الرياض بعد وفاة سعود بن فيصل فعينه عبدالله ابن فيصل كاتباً عنده ، ولكن الأمر لم يستقر لعبد الله ، وفرضت على الشاعر الإقامة في حائل ، ولنشاطه العلمي كرهه القوم ، فسمحوا له بالعودة إلى الرياض حيث انطلق لسانه في الدفاع والهجاء ، حتى شكاه عاملها لابن رشيد ، فكتب لعامله « إن لم ينته

(١) ذكرها في شعره (ديوانه : ٢٩٦) .

(٢) رايت كتابته لرسائل عبد اللطيف وقصيدة لحسين آل الشيخ ، وهو ليس بالعالى الحسن ، ولا الرديء الراهن ، وربما كان مثل خطه في عصره من العالى الحسن .

ابن سحمان فاقتله ، أو اقطع لسانه ، أو اجله من بلاده » ، ومن تلاميذه في العلم عبد الله العنقري ، وعمر بن حسن ، وأبناؤه صالح وعبد العزيز وعبد الله ، وسليمان الحمدان ، وعبد العزيز ابن مرشد ، وعمى عام ١٣٣٠ هـ وتوفي عام ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) (١) .

وابن سحمان يعد في العلماء المحققين في علوم الشريعة ، فقهها واصولها ، وهو دون استثناء أنشط علماء الدعوة تأليفاً ، وأكثر مؤلفاته في الدفاع عن الدعوة والردود ، وله من الكتب ما يتجاوز عشرين كتاباً في النشر منها الرد على النبهاني ، والأسنة الحداد في الرد على علوى الحداد ، والضياء الشارق في الرد على جميل صدقى الزهاوى ، وتتمة تاريخ نجد فيما أهمله الألوسي أو غلط فيه ، وله جهد في تجميع رسائل أئمة الدعوة فقد جمع رسائل عبد اللطيف آل الشيخ ، ومجموعة المسائل والرسائل النجدية وغيرها (٢) .

(١) انظر ترجمته في النفائس الشعرية : ٤٠ ، والدرر السنية : ١٨٧/٢ ، وعلماء الدعوة : ٨٧ - ٨٨ والتذكرة : ٢٤٧/٣ - ٢٥٦ ، وتاريخ الادب للدفتردار وكحيل : ٣٩/٤ ومشاهير علماء نجد : ٢٩٦ والادب الحديث في نجد : ٢٦ .

(٢) انظر قائمة ببليوغرافية بمؤلفاته في معجم المطبوعات السعودية . مقالات على جواد الطاهر : العرب شعبان ١٣٩٢ (ويضاف اليها ما استدركه يحيى محمود الساعاتي في العرب ذو الحجة ١٣٩٢ هـ ، يضاف الى ذلك الجواب المنكى في الرد على الكنكى (ذكره في الدرر السنية ٨٧/١٢) والجيش الربانية في كشف الشبه العمري رده على عبد الله بن عمرو (ذكره في النفائس الشعرية : ٤٠) والرد على النبهاني ذكره الألوسي في غاية الامنى وعدتها ٢٣ كتاباً ما بين مؤلف ومجموع ومنظوم ومنثور غير ديوانه .

ديوانه : سماه « عقود الجواهر المنضدة الحسان مما أنشأه الفقير إلى ربه المنان سليمان بن سحمان » وطبع الكتاب في حياته عام ١٣٣٧ هـ في بومبي ، والطبعة رديئة جدا حافلة بالأخطاء الإملائية والمطبعية والتصحيح ، وهو بحاجة إلى إخراج جديد^(١) ، وثلثا حجم الكتاب وأبياته خصصها الشاعر للدفاع والردود ، وهو القسم الأول من الديوان ، والقسم الثاني يتناول أغراض شعره ، وألحقت بالديوان بعض قصائد الشاعر التي جلت أو وجدت بعد طبع الجزء الثاني ، ومجموع ما في الديوان كله (١٠٨) قصائد في حوالى ٨٠٠٠ بيت^(٢) ، وله قصائد أخرى منها أربع قصائد ضمن رسائل عبد اللطيف (المخطوطة) لم تثبت في ديوانه ، وقصيدة في مناجاة الذئب^(٣) .

- ١ -

أغراض شعره : أكثر شعر الشاعر ، وأهمه ما قاله في الدفاع عن الدعوة ، وله في ذلك قرابة أربعين قصيدة . وهذا من فاحية العدد يشكل ثلث شعره ، لكن من حيث كثرة الأبيات لا يقل عن ثلثي الديوان ، وهذا ما جعله يضع الدفاع في صدر الديوان ، وهو لا يسترسل على طبعه ، ولا يأتى من القول

(١) علمت ان أحد الفضلاء يقوم بتحقيقه ، وارجو ان لا يعنى تحقيقه تنسيقه وحذف بعض أبياته كما ذكر لى ، فابن سحمان وخصماؤه ذهبوا الى ربهم ، وقد طبع الكتاب كاملا في وقتهم وهم احياء يرزقون ، فكيف يحذف منه بعد ذهاب كل شيء ؟ وبعد ان بقى ذلك للتاريخ .

(٢) ذكر ذلك في (مشاهير علماء نجد : ٢٩٦) قال ان عدد أبياته ٨٠٩٨ بيت .

(٣) انظرها ص : ١٢٩ - ١٤٠ وهى في ملتقى الانهار : ١٨١ .

بالقوي المبين ، إلا في هذا الغرض حين يدافع ويناقش بلسان حاد يدمغ بالحجة ، ويسلب الخصم شخصيته العلمية ، لينهال عليه ضربا بالهجاء الحاد ، سخرية بعلمه وبمنصبه ، مفرغا عليه ما شاء أن يفرغ من ألفاظ • وأوصاف لها وقع السوط الملتهب على الجسد العارى ، موزعا القصيدة ما بين الدفاع والهجاء ، مطيلا ، حتى ان من قصائده ما بلغ ٧٠٠ بيت (١) •

ويمكن اجمال موضوعات الدفاع عنده ، بأنها الدفاع عن الشيخ محمد في حروبه وشرح مذهبه ، والرد على مخالفي أهل السنة في فهم صفات الله كالجهمية والمعتزلة والرد على مجيزى شد الرحال لقبر النبي ، والتوسل به وبأهل القبور من الأولياء والصالحين ، والإفاضة في حكم الإقامة في بلد لا يحكم فيه بما أنزل الله ، والإفاضة في حكم التقليد والاجتهاد ، ويتخلل ذلك الهجاء الحار ، والمديح لرجال الدعوة ، ومؤيديها من الخارج والداخل (٢) ومستخدما أيضا ألفاظ القذف الدينى بصورة لم يسبق ان استخدمها أحد من علماء الدعوة أو شعرائها ، كالرمى بالكفر والزندقة ، حتى ادخل بشرا كثيرا في الكفر منهم المعاصرون

(١) انظر تفصيلا لذلك في شعر الهجاء : ٢٣ وما بعدها .

(٢) عاب أحد الباحثين (الحركة الأدبية : ٨٠) شعره بالتكرار وقال « ان شعره رغم كثرتة قليلا الفناء ، ويمكن ان تكشف معانيه في قليل من الصفحات ، وهذه المعاني المحدودة حملت الشاعر على ترديد الفاظ بذاتها » ان الشاعر مضطر الى التكرار طالما ان خصومه يريدون نفس الشبه في اكثر من قصيدة . والشاعر لم يقل هذا الشعر في كتاب تعليم ليلام على ذلك بل قاله في معرض تتكرر فيه الافكار بتكرر الخصوم (للتوسع راجع شعر الدفاع عن الحركة : ٩) .

والمتقدمون ، والمحسنون والمسيئون^(١) ، وهو يجيب بنفس الأسلوب الذى يجيب به أعداء الدعوة في هذا المجال^(٢) ، وليس من شك أن لفترة الضعف السياسي التى عاشها الشاعر أثرا في كثرة الهجوم على الدعوة ، مما سبب الضغط على الشاعر من الداخل والخارج ، فكان شعره يعبر عن حالات نفسية واجتماعية حادة اكثر مما يعبر عن آراء الدعوة الصافية ، وربما دخلت قضية تكفير الدولة العثمانية طابعا سياسيا ، ليس له من الدين مستند ، أو طابعا دينيا غالبا ، أو طابعا هجائيا على شاكلة قوله لأحد خصومه^(٣) :

واعلم بأن الظلم والظلم التى	قد شادها الإصرار والأصار
في هذه البلد التى أنتم بها	والحكم بالقانون والأوزار
وبها اللواط لدى العساكر والزنا	والخمر والتنباك والمزمار
والرفض عندكم رخيص سعره	إظهاره ما إن له إنكار
والله حرم مكث من هو مسلم	في كل أرض حلها الكفار
ولهم بها حكم الولاية قاهرا	فاربأ بنفسك بالمقام شنار

والرجل على كل حال أوضح علم حاول أن يطوع لغة الشعر للجدل والنقاش العقيدى ، وهو عالم يستطيع الدفاع أو ما يسمونه (الردود) بالنثر لكنه يستخدم الشعر لأنه أقوى

(١) الحركة الادبية .

(٢) انظر تفصيل ذلك في شعر الهجاء : ٢٣

(٣) ديوانه : ٧٦ التنباك : الدخان

تأثيراً في النفوس كما قال (١) :

فقلت مجيباً بالقريض لأنه أشد على الأعداء من الصارم الهندي
مع ادراكه لصعوبة النقاش العقيدى في الشعر وعرض
الحجج لكنه يقارب في ذلك كما قال (٢) :

وقد جئت من رد عليه بحسب ما اطلقت ولم أستقص في البحث والرد
لتعسير وزن النظم فيما أرومه وأورد من نص الأحاديث بالسرد
وأقوال أهل العلم من كل مذهب وكل إمام من ذوى العلم والزهد

ولم يكن يهمه ما سيقول عنه الباحثون من انه وفق قليلاً
وأخطأ كثيراً ، لأنه في عصره قد وفى بالغرض الذى يرومه من
وراء ركوبه الشعر . وفي الغالب يدخل إلى هجائه وموضوعه
مباشرة دون مقدمات غزلية طللية (٣) :

الا ابلغنا عنى حسيناً رسالة جواب هجاء أبرزته غلائله

ثم يأخذ في عرض أفكار خصمه عرضاً يركز فيه على
ما يأخذه عليه ، وهو يعرض في الغالب كل فكرة ثم يرد عليها ، ثم
يعرض أخرى وهكذا دواليك ، وأحياناً يسوق كلام الخصم
بحروفه فإذا كان خصمه قال القصيدة ، وهذا الغالب - فأكثر
شعره في النقائض - عرض أبيات خصمه كاملة أو مجزأة في
شعره كقوله يرد على أمين بن حنشل الذى آزر داوود بن جرجيس
في حملته على القوم (٤) :

(٢) ديوانه : ٨ .

(٤) ديوانه : ٦٥ .

(١) ديوانه : ٨ .

(٣) ديوانه : ٢٣٢ .

يا من تهور جهلا من شقاوته
 (الحق لا شك ما أفتى الإمام به
 العالم الفاضل التحرير ذا ورع
 ما أنت بالحكم الترضى حكومته
 من قال بالزور والطفیان بهتاناً :
 أعنى به الشيخ داوود بن سلمان)
 والمرشد الكامل المملوء عرفانا)
 ولا الأصيل ولا من حاز عرفانا

فإذا فرغ من ذلك أخذ في الهجاء والسخرية والزراية ،
 يبدىء ويعيد في ذلك ، ويضمن هجاء معارضيه مديح أصحاب
 الدعوة إن كان الموضوع يتناولهم عن قرب ، ويستخدم في الهجاء
 كل ما يتمثل بالشخص من مثالب في العلم والدين والخلق
 والنسب والحسب ، قال (١) :

واذ كنت من أنباط أجدم لم تكن من العرب العربا ولا من سموافخرا
 ولم تدر من دين الهدى غير مذهب يضللك في الدنيا ويخزيك في الأخرى

ويستخدم كل ما يتصل بالهجاء من بعيد أو قريب ، ويعير
 الذين أقاموا تحت الحكم التركي بأنهم ضعاف ، لا يستطيعون
 إلا السمع والطاعة لولايتهم ، ويستعدى عليهم إذا هجوه آل ثانی
 في شعره استعدادا ضميا كما قال (٢) :

فان لم تنبوا طائعين لربكم فان فتى منا هاما مقدما

سينتقم منكم ، ويذيقكم ما يعيد اليكم رشدكم
 وصوابكم . .

(١) ديوانه : ٦٥ .

(٢) انظر ديوانه : ٧٤ و ٧٦ و ١٦١ .

وهو بحجاجة الجبار ، وسخريته وتنقيبه عن المثالب ، يعيد صورة قوية من صور نقائص شعراء الجاهلية والإسلام ، أو جرير والهرزدق والأخطل ، وإذا تم نشر اشعار معارضيه ، فإن شعرا كثيرا في الهجاء والجدل العقيدى سيكون لافتا الأذهان^(١)

- ٣ -

وأغراض الشاعر بعد شعر الهجاء والدفاع ، تعتبر قليلة اذا قيست به ، ومن أكثرها البكاء والرتاء ، وهو أكثر شعراء الدعوة كلهم بكاء ورتاء ، وشكوى ، وذلك يعود إلى أنه عاصر أكثر من ثلاثين عاما كانت فيها شدة البلاء ، والنكد على حماة الدعوة وعلمائها بعد وفاة الإمام فيصل عام ١٢٨٢ هـ ، فبكى الديار الخربة ، والدول الزائلة ، والحكومة المضاعة ، وشعره في البكاء والرتاء نوعان : بكاء الديار ، واضطراب الأمن ، وضیعة الدين ، وتفرق مجالس الإخوان ، وذهاب السلطة من أهلها وذلة الاسلام، وشعره هذا أقوى حزنا وأشد لوعة لما يتصل به من قضايا

(١) وهم بعضى الباحثين (انظر الحركة الادبية : ٦٤) في تحديد وقت النقائص والهجاء بانها كانت في عهد الملك عبد العزيز ، وأن الهجاء كان موجها إلى الدعوة وحاميهما لكن الواضح ان وقت النقائص إنما يمتد خلال فترة التاريخ الاسود من أيام اختلاف الأيام بعبد الله بن فيصل حتى بداية الدولة السعودية الثالثة ، وقوته وكثرته كانت في فترة ما بين الدولتين ، خلال قرابة ٣٠ عاما .

الامة^(١) ، وقد مر ذكر شيء من ذلك^(٢) .

وانه لشيء فريد عند الشاعر أن يكون بكاءؤه قضايا الامة ،
أشد لوعة من بكائه نفسه وأحبابه ، وقد عرف النقاد ان
الشعراء عادة يجيدون الحديث عن أنفسهم أكثر مما يجيدونه
وهم يعرضون آلام المجتمع .

فرثاء الأشخاص من علماء وزعماء وأمراء ، يبدو فيه الشاعر
أقل استرسالا ، وأضعف لوعة ، ولعل لذلك صلة بعدم عناية
الشاعر بالأمور الشخصية ، ومن رثائه قوله في حمد بن عتيق^(٣) :

على الحبر بحر العلم بدر المنابر وشمس الهدى فليبك أهل البصائر
واية عين لا تشج بمائها عليه كئج المعصرات الماطر ؟
... يعز علينا أن نرى اليوم مثله لحل عويس المشكلات البوادر

وشعره في المديح استأثر به رجلان عاصرهما : عبد الله بن
فيصل^(٤) ، وعبد العزيز بن عبد الرحمن^(٥) ، أما عبد الله فكان
الشاعر يخلط مديحه له بالنصيحة وكانت بينهما مودة ، وقد

(١) انظر قصائده في الديوان : ٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٣٠٦ ، ٣٢٠ ، ٣٣٣ .

(٢) انظر شعر البكاء والرثاء والشكوى : ٥١

(٣) ديوانه : ٢٨٢ ، وانظر له في الرثاء ايضا : ٣٠٢ و ٣١٢ و ٣٤٣ و ٣٥٨ .

(٤) ديوانه : ٢٧٧ و ٢٨١ و ٣٠٧ .

(٥) ديوانه : ٢٦٢ و ٢٦٥ و ٢٦١ و ٢٨٢ و ٢٨٩ و ٣٢٨ و ٣٤١ و ٣٤٢ .

اشتغل الشاعر كاتباً لديه ، يقول فيه (١) :

مذكى ضرام وقود الحرب إن خمدت ماض على الهول صلت غير ضعضاع
يجول في الناس يوم الروع معتضدا بصارم يختلى الأعناق قطاع

وكان مديحه في الملك عبد العزيز ، إعجاباً ببطولة الرجل
الذي عاد إلى البلاد ليعيد دولة الدعوة من جديد ، وحضاً على
مواصلة الكفاح (٢)

أذاق الأعادى والبوادى جميعها كئوس حتوف من سمام الأسود
وكم جر من جيش لهام عرمرم يفادى به شوس الملوك السوامد

ويحكم الشاعر القوة ، ويجيد التحريض على القتال ،
واستنهاض الغرائم ، وفي مدائحه تتجلى هذه الصفة :

ولا تتكل يوماً على رأى عاجز يميل إلى الإخلاد ليس بذى رشد
ولا زلت وطاء على هامة العدى لك النقض والإبرام والخل والعقد

وله مديح في معاضدى الدعوة ومشائخها وأنصارها كحسن
صديق خان (٣) ، ومحمود شكرى الألوسي (٤) .

وقصائده الإخوانية كثيرة ، وفي ديوانه ما يقارب العشرين
رسالة ، كتب أكثرها في العتاب على قلة المراسلة وانقطاع

(١) ديوانه : ٣٠٧ .

(٢) ديوانه :

(٣) ديوانه : ١٦٩ . ولعل في البيت الأول تحريف صحته : ليس له رشد .

(٤) ديوانه : ١٣٦ .

الأخبار ، وبعضها في التهئة والاعتذار ، وبث الشوق قال (١) :

أضرب من السحر الذي أنت ناظمه أم اللؤلؤ المنضود في الرق راقمه
بلى إنه السحر الحلال وانما تحل عويص المشكلات عزائمه
أبنت به ما بيننا قبل بيننا فلا النىء يفنيه ولا الهجر ثالمه
... وهيجلى من ذكرك العهد لوعة فأرق منها الجفن وانهل ساجمه
فله ذاك العهد لو عاد لانجلى هموم وأهمت بالسرور تائممه

وله شعر وجدانى تحدث فيه عن نفسه ، وما يلاقى من عذاب
الحياة حين خلاه الرفاق وبقي وحيدا في الميدان ، يعانى العربة
والعذاب (٢) :

غريب بعيد الدار تعلوه ذلة اذا ما رأى المكروه يفضى ويخرس

وأكثر شعره الوجدانى في الذكرى والحنين إلى الأيام
الماضية من صباه واجتماع اخوانه (٣) :

فيا ليت شعرى هل (ئدى) (ب) مشيدة كعهدى به حال الطفولة من عمرى ؟
(وصدى) وحصن لابن لاحق حولنا ويا ليتنى أدرى اكانوا كما أدرى ؟
أم الحال قد حالت بهم وتغيرت وبدل خير منهمو كان بالشر

(١) ديوانه : ٣٦٦ وانظر معانيه : ٢٤٦ و ٣٥٢ و ٣٦٧ و ٣٠٤ و ٣٣٠ و ٣٣١
و ٣٢٤ و ٣٤٨ : وتهانيه : ٢٤٢ و ٢٥٤ و ٢٦٨ و ٢٧٥ و ٢٨٠ و ٣٥٦
واعذاراته : ٣٠٣ و ٣٦٦ .

(٢) التذكرة : ٢٠٩/٢ .

(٣) ديوانه : ٢٩٧ .

وتحدث عن اللصوص الذين كمنوا له ليلة ليلاء^(١) :
وقد بت ليلى كله مترقبا وضيفا لأرطاة أحاذر أن أبدو

وشكا وجع عينه حين عالجه (دختر) النصارى^(٢) :
وقد كنت فيما قبل أرجو سلامة وعافية والله بالخير اقرب
ولكنه قد زادنى ذاك علة وداء سوى ما كنت أرجوه يذهب

وتحدث عن الفقر والفراق والغربة وتفرق اخوانه ، والدين ،
والسجن^(٣) وفاجى الذئب الذى اختطف عناق أخيه ، مناجاة
طريفة ، فاق فيها الفرزدق^(٤) .

وغزله قليل جدا ، ولا يرد الا في مطالع القصائد شأنه في
ذلك شأن سائر شعراء الدعوة ، أضف الى ذلك أن الشاعر عنى
بترك المقدمة الغزلية ومن ذلك^(٥) :

والشعر يفتر عن در منضدة كأنهن اقاح غب امطار
وعن رحيق عتيق في ترشفه برء السقام وإطفا لاهب النار
والليل يبدو اذا ما جن معتكر من فاحم حالك في اللون كالقار

(١) ديوانه : ٢٧٣ .

(٢) ديوانه : ٢٦٢ .

(٣) انظر قصائده : ٣٠ و ٣١٠ و ٢٩٦ و ٢٥٤ و ٢٣٨ .

(٤) انظر سمات وخصائص الشعر ١٤٩ - ١٤٠ والقصيدة في ملتقى

الانهار : ١٨١ .

(٥) ديوانه : ٢٨٨ .

أما الشاعر في أسلوبه فهو أكثر الشعراء حرصا على حذف المطالع الطللية والغزلية من القصيدة ، هو أكثرهم في ذلك لا تستثن منهم أحدا سواء في نجد أو غيرها .

وهو دون ابن عثيمين ، بل ودون ابن مشرف في صفاء الأسلوب ، ولو توفر له الطبع المصقول ، لكان مع ماله من غزارة شعر ، وتنوع موضوع وحرارة عاطفة وشدة حماس شاعرا كبيرا ، كما أنه أكثر منهما وقوعا في زلق الضرائر الشعرية ، والأخطاء اللغوية ، والألقاظ العامة وذلك يعود إلى أن الشاعر لا يملك الطبع الموatti ، الذى امتاز به ابن عثيمين ، ورغم ضعف القطرة الشعرية فقد زج نفسه في الشعر الجدلى العقيدى ، على ما يتطلبه ذلك الغرض من فطرة صافية ، لكنه إن فقد كل هذا فهو أقوى الشعراء الثلاثة قدرة على التأثير ، وأحرهم عاطفة ، وأشدهم حماسا واندفاعا .

وترد الصنعة اللفظية في شعره قليلة مفطورة كقوله (١) :

فيا محنة الإسلام من كل جاهل ويا قلة الأنصار من كل عالم
وقل أن يتكلفها ويتعمدها ، ويعز في شعره مثل هذا البيت (٢) :

والآن في وصف الأتراح منجرد من كان من طرب الأفراح مبتسما

(١) ديوانه : ٢٢٢ .

(٢) ديوانه : ٢٢٤ .

هذا بالنسبة للطابع العام في شعره ، وله بعد ذلك من العبث اللفظي والطلاسم الشعرية مشجر ومدورتان (١) :

وله قصيدة تعليمية كتبها لأحد تلاميذه يعلمه فيها رسم الحروف وهى على هذا المنوال (٢) :

اكتب ككتبى كما قد كنت اكتبه كتباً ككتبى لهذا الكتب فى الكتب

الى آخر القصيدة المملوءة بالحروف المرددة ، ولعل استعمال الشعر ليكون كلمات تردد للخط ، غاية لم تدر بخلد امرئ قبل ابن سحمان ، الذى جاء بهذا اللغو ، ومتعلم الخط إن أجاده سيتعلم شيئاً آخر من هذا الشعر ، فساد الذوق ، وكراهية العريية •

ويمتاز ايضا أنه الشاعر الذى لا يبدو منه أى اثر لتزويق أو تحسين المدائح يشم منه رائحة طلب الجائزة ، أو استعجالها ، وهذا شيء يخالف ما يوجد فى شعر سلفه ابن مشرف وخلفه ابن عثيمين •

(١) ديوانه : ٣٤١ و ٣٠٩ . والتشجير نظم الشعر على شكل شجرة ذات بيت يشبه اصل الشجرة تتفرع من الابيات الاخرى كما تتفرع الفصوص من الاصل والتدوير نظم القصيدة على شكل دائرة يدور اول كل بيت وآخره حرفا يشبه نقطة الدائرة وتكون الكلمة الاخيرة من البيت - معكوسة - اول كلمة فى البيت التالى .

(٢) ديوانه ٢٣٥ ، وليس صحيحا ما علقه أحد الكتاب على القصيدة (الادب الحديث فى نجد : ٢٦) بان الشاعر استخدم الشعر فى كل ما خطر على باله حتى العبث ، فليس له الا اربع قصائد من ذلك العبث بكل ألوانه (مشجر ومدورتان وهذه القصيدة) .

محمد بن عثيمين

- ١ -

ولد محمد بن عبدالله بن عثيمين عام ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤ م)^(١) في السلمية (من قرى الخرج) بنجد ، ونشأ بها وتعلم على يدي الخرجي علوم الدين وما يتصل بها من لغة وأدب ، ولما شب عن الطوق أثر التنطواف والتجوال في ساحل الجزيرة الشرقية ، مشغلا بتجارة اللؤلؤ ، متصلا بأمرائها ، وخاصة آل ثاني فقد توثقت صلته بالشيخ علي بن قاسم طيلة حياته ، واتصل من بعده بعبد الله بن قاسم ، وكان مخلصا لهم حتى بلغ من اعتمادهم عليه أن حملوه الراية في حربهم لبنى ياس ، الذين قتلوا علي بن قاسم صديقه الحميم ، وكان شجاعاً .

واتصل بآل خليفة بالبحرين أيضا ، وربما كانت صلته بهم قبل صلته بآل ثاني ، لأن أقدم قصائده في مديح آل خليفة ، وربما كان أدبه ومعرفته بالأخبار والأشعار ، مما قربته لهؤلاء الحكام .

واتصل بالملك عبد العزيز منذ فتح الأحساء وترك التنقل في البلاد بعد ذلك ، وآثر المقام بنجد ، يفد على الملك عبد العزيز

(١) ولد قبل ابن سحمان ، لم يقل الشعر إلا عام ١٢٢٠ هـ ولذلك اخرت ترجمته

كل عام^(١) ويذكرون أنه عاش فترة الشيخوخة في فقر مدقع ، وبؤس وحرمان ، بعد أن ترك التجارة لكبر سنه في السنين العشرين الأخيرة من حياته وتوفي عام ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م) بعد عمر تجاوز القرن بثلاث سنين . وهو قوى الإدراك صحيح الحواس لم يخرف ولم يهن عقله^(٢)

ثقافته وعلمه: يذكرون أنه كان من العلماء الواسعى الاطلاع على علوم الشريعة^(٣) ، أما في الأدب والتاريخ وأخبار العرب وأيامهم ، فله من ذلك حظ وافر ، واسلوب قصائده المملوءة بالأخبار والإشارات التاريخية ، والاقتناس من الشعر القديم والمثل ، دليل واضح على سعة بحره ، وقد شرح بعض قصائده ، وشرحه يدل على سعة الاطلاع على الأخبار والاشعار بصورة لا نفتقد أن أحدا من مواطنيه يشاركه فيها .

ديوانه : على الرغم من أن الشاعر ولد قبل معاصره ابن سحمان بسبع سنين إلا أنه ليس له شعر مذكور قبل عام ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) الذى نظم فيه اللامية في مديح محمد بن عيسى الخليفة ، والشاعر قد بلغ إذ ذاك ستين سنة ، وهذا من أغرب الأمور ، وربما لا نجد له مثيلا في هذه الظاهرة إلا النابغة الذبياني الذى زعموه قال الشعر بعد الأربعين ، واللامية — أول ما عرف من

(١) ديوان الخلفى : المقدمة .

(٢) ديوانه : ١٥ .

(٣) شعراء نجد : ٥٨ .

شعره - المليئة بالتراكيب الجزلة والغريبة ، شعر رجل طال مراسه بالشعر ، ولا بد أن شعرا كثيرا قبلها ضاع بين أيدي الزمن ، أضف الى ذلك ان الشاعر بدأ ينظم الشعر بالعامية أول مرة كسائر شعراء نجد .

ينبغي أن نذكر بالشكر محقق الديوان الذي جمع وشرح شعر الشاعر ، فقد أسدى يدا الى الأدب في بلادنا لا ينكر فضلها ، ما دام شعر الشاعر ينشد ويدرس ولولا سعد الرويشد لضاعت البقية الباقية من شعر الشاعر ، فقد عرف عن الشاعر عدم عنايته بشعره ، فجمعه الشيخ من قصاصات عند الشاعر ، وممن قيلت فيهم الأشعار ، ومن الصحف ، وهذا الذي ضاع أكثره شعر وجداني لم تهتم به صحف ولا رواة ، ولا أمراء ، وقد أشار المحقق إلى بعض القصائد التي سمع بها ولم يجدها ، وهي مراثاة في حفيده ، وقصيدة هنا بها شيخه الخرجي في زواجه ، وقصيدة مدح بها شيخه ابن مانع^(١) ، وقد وجدت للشاعر حديثا ثلاث قصائد إحداهن نبطية^(٢) .

إن هناك قضايا كثيرة في حياة الشاعر وشعره تظل أسئلة معلقة في الذهن دون جواب ، فأولا : هذا العمر الذي زادوه على

(١) الديوان : ٢٠ .

(٢) ذكر لي الشيخ الرويشد انه عثر على قصيدة نبطية ، وقصيدتين فصيحيتين وسيثبتهما في طبعة الديوان الجديدة . ويشير د. منصور الحازمي في (معجم المصادر الصحفية لدراسة الادب والفكر في البلاد : ١ - ام القرى) إلى أن بعض ما نشر في ام القرى من شعره يخالف ما نشر في الديوان تحويرا وتغييرا قد يكونان يسيرين .

المئة ، ما مدى صحة ذلك ؟ ، وثانيا : حوادث الجزيرة التي شارك فيها ابن سحمان ، فأين ابن عثيمين منها ؟ وهو في السلمية في الخرج حيث كان حمد بن عتيق يدرس ويعلم وله تلاميذ ، وحركة علمية ، ومجتمع عانى من تلك الفتن ، فأين صلة الشاعر بهم ، وأين حديثه عن بلاد نجد التي عانت من البلاء ما عانت ؟ أم أن للشاعر شعرا يكون خطأ سياسيا مستقلا ، فيه نقد لبعض الجوانب المظلمة ولذلك اختفى هذا الشعر ، أم أن الشاعر قد قضى شطرا كبيرا من حياته يتغزل ويلهو ، وحين أنذره المشيب رجع الى نجد حيث كانت حركة تدين الإخوان تجبر مثله على أن يحرق شعره ، ولذلك نراه حين يتغزل في مطالع القصيدة يتذكرهم فيخشى شرهم فيبادر بالتوصل قائلا : إن غزلى مزح ، وعادة شعرية ؟

- ٢ -

أما الأغراض التي طرقها الشاعر فان المديح هو أكثرها استبدادا بشعره ، فله فيه سبع وثلاثون قصيدة ، وثمان قصائد فقط لم يخصصها للمديح ، وان نسبة قصائد المديح الى شعره نسبة عالية .

ومدح في شعره ثلاث أسر حاكمة ، فمدح آل ثاني ، وآل خليفة ، وكانت بينه وبينهم ألفة ، ومخالطة وصحبة ، ومدح من بعدهم عبد العزيز بن سعود وأولاده وأكثر شعره في مدح الملك عبد العزيز ، وقد واكبه الشاعر في فتوحاته وغزواته منذ فتح

الأحساء ، وتحدث عنه كثيرا ، وصف أقدامه على الهول ،
ومراسه بالحروب وهمته التي أعادت إلى نجد عزها ومجدها ،
بعد أن ضاعت السفينة^(١) :

كننا نمر على الأموات نغبطهم من قبله إذ تولى الأمر أشرار
فالآن طابت به الأيام إذ أخذت به لاهل الهدى والدين أوتار

ومديحه له يعرض للقضايا السياسية المعاصرة ، ويحاول أن
يسدى النصيحة للملك أو لغيره ، ممن يعينهم الأمر فهو حين
يشق الاخوان عصا الطاعة ، ينصحهم بأنهم مخطئون ، فقد أوجب
الله طاعة أولى الأمر ، خاصة وهم يتدخلون وينتقدون الملك
عبد العزيز في قضايا سياسية لا يدركونها^(٢) :

فيا معشر القراء دعوة صارخ بكم إن يكن فيكم حليم نسائله
..وقولوا لقوم ليس فيهم روية ولا نظر مما يحاذر آجله
إذا عقد الصلح الإمام لكافر يرى أنه لا يستطيع يطاوله
وفيه لديانا صلاح وديننا ودفع اذى عنا تخاف غوائله
فذا جائز في الشرع من غير شبهة فياليت شعري هل يفند قائله

وكتحذيره له من الأعداء ، أن لا يستكين إلى الملاينة ، لأن
من عاداه لا يمكن أن يصادقه إلا في ظروف غير عادية ، وهو
يبدىء ويعيد في حكمة السيف التي ردها قبله سديف
لأبي العباس السفاح :

(٢) ديوانه : ٢٤٣ .

(١) ديوانه : ١٠٩ .

لا يفرنك ما ترى من أناس إن تحت الضلوع داء دويما
فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها أمويما

قال ابن عثيمين^(١) :

فعاقب وعاتب كل شخص بذنبه فلولا العقوبات استخف الورى الذنبا
فمن سل سيف البغي فاجعله نسكه ومن شب نارا فارمه وسط ماشبا

وفي شعره تجد أول دعوة لعقد ولاية العهد لسعود بن الملك
عبد العزيز فقد قال عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م) :

واشد دعى الدين والدنيا بمنتخب من عنصر السادة الفر الميامين
تلتك في خلقك السامى خلائقه تلو المصلى المجلى في الميادين
فرع الأئمة والأذواء من يمن أهل القباب المطاعيم المطاعين^(٢)

ولا ندرى ماذا تعبر عنه القصيدة من رأى سياسي خاص
أو عام حكومى أو شعبى قد تكون القصيدة تعبر عن رأى
الشاعر الذى استمدته من حب الناس له ، وقد تكون بايعاز من
الملك سعود لطلب الولاية على العهد ، وقد تكون من الملك
عبد العزيز لأشاعة القضية لجس النبض ، ولتوقع الناس ذلك
قبل وقوعه على طريقة معاوية مع مسكين الدارمى ، يؤيد الرأى
الأخير قول ابن بليهد حينما ولى سعود العهد عام ١٣٥٢ هـ

(١) ديوانه : ٢٦٥ - ٢٦٦ .

(٢) الأذواء من يمن يقصد بهم أخوال الملك سعود من آل عريم والقصيدة
في الديوان .

(١٩٣٣ م) (١) :

رايت بعام الاربعين اشارة بها عرفت منك الولاية والعهد

وابن بليهد ممن توثقت صلته بالقوم (٣) ويمكن أن يعتبر من ذلك شعر الحديث عن الإخوان ، والأعداء ، والتحذيرات السياسية الخفية على الذين عاشوا بعد تلك الفترة ، وقد آثر الشارح عامدا أو غافلا إهمالها على ما قد يكون لها من أهمية في التاريخ السياسي .

وقد وصف الشاعر ضمن مديحه للملك عبد العزيز المواقع والمعارك ، كما في وصفه لإحدى المعارك في الميمية التي سبقت الإشارة إليها في شعر المعارك والفتوح ، وكما في القصيدة المشهورة في فتح الأحساء ، وسيأتي طرف منها في الحديث عن خصائص شعره .

وفي مديح الشاعر تأتي المبالغة في شعر أصحاب الدعوة أول مرة ، ولم تعرف من قبل حتى جاء هذا الشاعر ، فاقتدى بشعراء العصر العباسي ، وليست مبالغة غالية ولا مغرقة ، بل كانت نوعا مقبولا ، لكن وجودها في بيئة لم تتعود هذا الغناء جعلها

(١) الابتسامات : ١٦٣ .

(٢) مما يزيد في إيضاح قيمة القصيدة السياسية معرفة تاريخ وفاة تركي (ابن عبد العزيز البكر) قبل القصيدة أم بعدها .

مدار جدل ، ومعرضا للنقاش^(١) ، يقول^(٢) :

مقدم في المعالي ذكره ابدا كما يقدم باسم الله عنوان
ويقول^(٣) :

ليت الذي سكن الثرى ممن مضوا من أهل بدر والبقيع المنور
نظروا صنيعك في المدينة والتي يأوى إليها كل أشعث أغبر
كى يشهدوا أن الفضائل قسمت بالفصل بين مقدم ومؤخر
وليشهد الثقلان ما أوليتهم من أمنهم من بعد خوف أعسر
ظفر الحجاز من الزمان بغبطة بعد النبی وصحبه لم تخبر

أما قضية تكسب الشاعر شعره فهي قضية أثارت الملاحظات المتناقضة في شعره وفي حياته يقول الشاعر يخاطب الملك

(١) اضطر الشاعر إلى الاعتذار من مبالفته بالرائية حينما هجم عليه سليمان بن سحمان وقد وصف أحد الكتاب (الادب الحديث في نجد : ٥٠) شعره بغلوه من المبالغة مستدلا بقوله (الديوان) :

عسى أن نراها سيرة عمرية يدين لها غرب البلاد ومشرق
وقال انه يستطيع أن يقول : السنا نراها ، لكنه آثر ترك المبالغة . والواقع ان الشاعر لا يستطيع ان يقول : السنا ، لانه في مقام عرض فضل الملك عبد العزيز على الاخوان ولو قال ذلك لخطأ المقام في مخاطبة الاخوان اذ يدعى ان سيرة الملك كسيرة عمر .. ولو سلمنا جدلا بوجاهة ما قال فان ابيات الشاعر الاخرى تعارض هذا الرأي .

(٢) الديوان : ٦٩ .

(٣) الديوان : ١١٥ و ١١٦ .

عبد العزيز^(١) :

ولم أمتدح عمري سواك بداية ولكنما خير من الخير صانعه

يذكر انه لم يمدح الأولين من آل خليفة وآل ثاني بداية
لطلب العرف والنوال ، بل مدحهم شاكرا خيرهم ، وهذا جانب
ضمني من البيت ، والجانب الصريح انه مدح الملك ابتداء دون
معروف سابق ، والشاعر يعنى بذلك ماذا ؟ هل يريد أن يقول
ليس بيننا معرفة سابقة فأكثر في العطاء كي تتوثق المعرفة .
يدل على ذلك قوله : خير من الخير صانعه ، أى صحيح أن شعري
خير ، لكنك بنوا لك خير منى ، أم يريد أنه يمتدحه ابتداء ليس
لطلب معروفه بل لأنه معجب بالعظماء والأبطال ، ويقول^(٢) :

فارقتهم أمتري أخلاف سائمة يسوقها واسع المعروف منان
لعل نفحة جود من مواهبه يروى بهامن صدى الاقتار عطشان
أريش منها جناحا حصه قدر شكا تساقطه سحب واخوان

وهذه الأبيات واضحة في طلب الجدوى ، فالشاعر يفارق
أولاده ليمتار كما يفارق مواطنوه أوطانهم يمتارون من الكويت
والاحساء .

هذا جانب من أبياته التي تدل على طلب المال في ذلك
يقول^(٣) :

(١) الديوان : ١٩٠ .

(٢) ديوانه : ٥٣ - ٥٤ أمتري : استدر ، حصه : حلقه .

(٣) ديوانه : ٢٨١ ، ٢٨٢ . جاجاً للابل : دعاها الى الماء فقال : جىء جىء .
وب تسهيل لوبىء مكان وبىء : كثير الأمراض .

يقول أناس إنما جاء مادحا ليحظى بسجل من نذاك المقسم
وما علم الحساد أننى بمدحكم شرفت وعندى ذاك أكبر مغنم
وكم رامه منى ملوك تقدموا وقبلك ما عرضت وجهى لمنعم
وكم جأؤا بى للورود فلم اكن لأشرب من ماء وبى متوخم

وفي هذه الأبيات يسجل الشاعر اتهام الناس له بطلب المال ، ويبدو انه لا دخان من غير نار فهو لاء الذين رأوا ترداده على الملوك والأمراء قد أشاعوا حوله إن صدقا وإن كذبا .

لكن السؤال المعلق من الذين طلبوا من الشاعر المديح قبل الملك عبد العزيز ، وما ملك نجدا وما حولها إلا آل الصباح في الكويت ، ومحمد ابن رشيد في نجد ، وآل ثانى وآل خليفة في قطر والبحرين ، أما آل الصباح فلم يذكر لنا ان الشاعر قصد كويتهم ، واما ابن رشيد فرجل بدوى أمى لا يهمه مديح يقال بالفصحى ، أما آل ثانى وآل خليفة فما ترك الشاعر شيئا من المديح لم يقله فيهم فهو في البيت الثالث كاذب ، وماذا ترك من المديح للناس وقد قال ما يتجاوز ثمانين بالمئة من شعره .

مال بعض الباحثين إلى عفة الشاعر ، وإنه لم ينطلق إلى العطاء مقابل مديحه ، وهم يستدلون على ذلك بواقع حياة الشاعر في آخر عمره ، وكيف قضاها فقيرا معدما مدة عشرين سنة ، وبأن شعر الشاعر لم يكن مفهوما من قبل الملوك الذين يمدحهم لما فيه

من غرابة ، وديباجة جزلة وقد كان يجهد كثيرا قبل أن يحصل له الاذن بالدخول عليهم (١) .

والواقع أن قضية فقر الشاعر في آخر عمره متصلة بأسباب كثيرة منها مدى ما يسرف الشاعر أو يقتصد في مصروفه ، وانقطاعه عن المديح الذي تنقطع عنه به الصلات ، أما كون شعر الشاعر فيه شيء من الغرابة ، فالحكام مهما كانوا ، لم يعرفوا بنحو سيبويه ، ولا بغريب المعري ، انما هم مثل غيرهم يكتفون بما يفهمون عما لا يفهمون ، ويقدرّون قيمة الشعر السياسية والأعلامية ، وما منعت أمية المعتصم وجهله أن يقدر قصيدة لأبى تمام في اغرابها وغموضها .

أما قضية الإذن بالدخول فالأمر فيها أسهل من كل ذلك .

يقول أحد الباحثين : « الذي أفكره أن لا يكون الشاعر منطلقا الى العطاء مقابل مدائحه » (٢) وهو رأى أيضا لا يبدو صحيحا وإن كان أقرب من سابقه .

الذى يبدو أن ابن عثيمين في مديحه مدفوع بثلاثة عوامل هي في الأهمية على الترتيب : أولها الإعلان عن شعره فهو يتصل بالكبراء لا ليخلدهم ، بل هم شيء من موضوعات شعره ، وهو

(١) ذهب الى هذا رأى ابن ادريس ، في شعراء نجد ، والرويشد في مقدمة الديوان .

(٢) الاتجاهات الشعرية المعاصرة في نجد (مخطوط) : ١٢٠ .

يدرك كيف خلدت قصائد شعراء البطولة بجانب رجالها كالمتنبى وأبى تمام ، وهو في مجتمع جاهل ، لا يهزه شعر فصيح في أى شيء ، فالمديح شيء مناسب له يكشف به عن مواهبه ، ونبوغه الضائع في هذا الوادى المجدب ، وهو صادق حينما يقول « بملحكم شرفت ، وعندى ذاك أكبر مغنم » وفي المديح مجال كبير لشهرته ، يكفي أن نتذكر أن البائية التى قالها في الملك عبد العزيز جعلت له صيتا وذكرًا في المجتمع .

الثانى : طلب المال وهو في كل شعره حتى في قصيدته التى شكّا فيها الحساد لا يستطيع أن يقول أنتى لم آت طالب معروف ، بل قال « وقبلت ما عرضت وجهى لمنعم » ، فهو يمدح لأغراض كثيرة ، لكن المال مطلوب ، ليس بحد ذاته ، وطلب المال أو التكسب هو الذى تفسر به كثرة مدحه ، فله فيه سبع وثلاثون مديحة ، ومجموع قصائده خمس وأربعون قصيدة وهو سر وقوفه في عتبات كثيرة .

وثالثها : المشاركة في المبدأ والتعبير عن روح الجماعة ، ولذلك أكثر المديح في الملك عبد العزيز وأشاد ببطولته ، ويدل على أهمية هذا اللون عنده حديثه عن الأعداء والضغائن ، وإشاداته بأهل الدين والإخوان وإسداؤه النصيحة في كل مقام ، وقد أخرجنا هذه القضية لأن الشاعر يبدو وإن تفوق في الموهبة والطبع ، أضعف من ابن مشرف وابن سحمان عاطفة إسلامية . وإيماننا بالفكرة .

أما غزل الشاعر فهو تقليدى ، خاص بمطالع القصائد ، يعود فيه الشاعر الى الأطلال الجاهلية^(١) :

خليلى لو ابصرتما يوم حاجر	مقامى وكفى فوق قلبى أبادله
عشية لاصبرى يثيب ولا الهوى	قريب ولا دمعى تفيض جداوله
لايقنتما ان الأسى يغلب العزا	وان غرامى لا غرام يماثله
.. نظرت إلى الأظمان يوم تحملوا	فأشرقنى طل الدموع ووابله
مضوا ببدور في بروج اكلة	بهن حلیم القلب يصبو وجاهله
وفيهن مقلّاق الوشاح إذا مشى	تملك حبات القلوب تمايله

ويمضى على هذا النسق حتى يأتى بالصورة الغزلية الساخرة التى تمثل لك مسخا من عباد الله ، أسفله رمال ييرين وأعلاه بدر :
يلوث على مثل الكتيب إزاره وأعلاه بدر قد تناهى تكامله

ويفطن إلى أن هذه القصيدة مقولة لدعوة الإخوان إلى لزوم الطاعة ، وهم الذين يرون في غزله شيئا يستوجب حدا أو تعزيرا ، وهم في شدة تعصبهم الدينى فيبادر بالاستغفار :

وزعت التصابى إذعلا الشيب مفرقى وردعته توديع من لا يجامله
وفئت إلى رشدى وأعطيت مقددى نصيحى فمهما قاله أنا قائله

وخوف التعصب الدينى هو الذى يجعله أيضا يتنصل في

(١) ديوانه : ١٣٦ - ١٣٧ .

كل قصيدة أو يعتذر (١) :

تلك العهود التي ما زلت أذكرها فكيف لا والذي أهواه سمارى
استغفر الله لكن النسيب حلّى يكسى بها الشعر في باد وفي قار
قد أنشد المصطفى حسان مبتدأ قولا تغفل في نجد واغوار
أغراء واضحة الخدين خرعة ليست بهوجا ولا في خمس اشبار
ويقول (٢) :

توبة ربى وغفرانا لما قلت شعرا وهو تشبيب ومزح
ولا تقل هذا من شعر التوبة ، لأن الذى يتوب الى الله
لا يعلم الله ان غزله تشبيب ومزح ، فالله عليم بذات الصدور .
لكنه يستغفر المتزمتين .

ويبدو أن أهل التزمت لاحقوه حتى عقر داره ، يذكر
ابن إدريس عن بعضهم أن الشاعر مزق كثيرا من شعره العاطفى
قبل وفاته خيفة عيب المتزمتين (٣) :

وله في المعارك وصف رائع ، ووصف الرحلة والسفر
والصحراء ، مما يأتى عارضا في أغراض المديح ، وقد طاب
لبعضهم أن يلوم الشاعر كيف أهمل وصف الطيارة والقطار ،

(١) ديوانه : ٢٩٣ خرعة : لينة ناعمة ، هوجاء : طويلة خفيفة .

(٢) ديوانه : ٣٢٩ .

(٣) شعراء نجد : ٥٩ .

وقال انه لم يصور البيئة (١) ، والواقع ان الشاعر وصف بيئته وهو المولود عام ١٢٦٠ هـ المكونة من جمل وحصان وفلاة ورحلات ، أما السيارة والطائرة والقطار والبرق فإنه لم يعرف أكثرها ، وان وجد أولها في آخر حياته ، وله أشعار في الرثاء خيرها البائية التي رثى بها شيخه الخرجي ومطلعها :

إلى الله في كشف الشدائد نهرب وليس إلى غير المهيمن مهرب

وليس له شعر في الهجوم أو الهجاء ، أيا كان نوعه سياسيا أو مذهبيا أو شخصيا ، على خلاف شعراء الدعوة • وهو يعلل ذلك بأنه لا يهجو أحدا قط مهما بلغ به من الإساءة ، وهذا طيب في حد ذاته ، لكن الشاعر يقول أيضا إنه لم يترك الهجاء عجزا ، فليس من العسير على من يقول عافاك الله أن يقول أخزأك الله (الديوان : ١٦) وكلامه هذا ليس بشيء فان الهجاء بكل أنواعه موهبة تتصل بالتقد ، هي القدرة على كشف الأخطاء ، وتوزيعها وابرازها بصور موحية •

- ٤ -

وإذا تجاوزنا موضوعات الشاعر إلى السمات العامة في شعره وجدنا من ذلك الحكمة وضرب المثل ، وابن عثيمين رجل حنكته الحياة ، ودربته قبضا وبسطا ، وعسرا ويسرا ، وطال

(١) الأدب الحديث في نجد : ٤١ •

عمره ، وكثرت أسفاره ، فكانت لذلك حكمته كثيرة ، أكثرها دعوة الى الحذر ، والقفظة لمكائد الناس ، مع ظاهرة القوة التي وجدت عنده وعند سائر شعراء الدعوة يقول (١) :

إذا صحب المرء الجديدين أحداثا له عبرا تشجيه مرأى ومسمعا
إذا صفوها لاقى إليه مسلما وأوسع به بشرا أشار مودعا
فلاتك ولاج البيوت مشاكيا بنيتها ولو تلقى سماما منقعا
فأكثر من تلقى من الناس شامت عليك وإن تعثر يقل لك لالعا
والصلاة على المصطفى لازمة في شعره لا تفتقدها البتة
يتمسك بها أكثر من سلفه ابن مشرف ، حتى إنه يمكن الاستدلال
بها على تمام القصيدة أو نقصها ، ومما جاءت فيه الصلاة مناسبة
قوله (٢) :

فالله ينزله عفوا ويرحمه فانه جل قدرا أرحم الرحما
ثم الصلاة على من في مصيبتيه لنا العزاء إذا ما حادث عظما

وإذا كان أكثر من ابن مشرف التزاما للصلاة على المصطفى
فإنه أقل منه في الادلال بشعره ، وهى خاصية جاءت عندهما دون
غيرهما من الشعراء ، قال ابن عثيمين (٣) :

ودونك مدحا عن مقامك قاصر وفي نفسه عند الرواة جليل
أزاركه فكر بمدحك موع لأن مكان القول فيك يجيل

(١) ديوانه : ٢٨٨ - ٢٨٩ لما : كلمة دعاء بالسلامة ، يقال للعائر ، وانظر القوة في خصائص شعر الحركة : ١٣٠ .

(٢) ديوانه : ٤٦٧ .

(٣) ديوانه : ٣٧٨ .

وشعره ليس من الغرابة بمكان ، لكنه الرجل المطلع على
أشعار العرب وأخبارهم المتمرس بأساليب اللغة ، المحيط
بشواردها ، لا يستطيع قارئ العصر الذى لم يتمرن سماعه على
الأسلوب القديم الجزل - فهم بعض شعره ، وأقصى حد يصل
إليه شعره في الغرابة قوله (١) :

وموارة الضبعين محكمة القرا أمون السرى عبر الهجير ذمول
بعيدة ما بين الترائب جسرة تلاحظ ظل السوط أين يميل
جشمت عليها الهول اما نهارها فوخذ واما ليلها فذميل

ولغته هى اللغة التى درج عليها شعراء الجاهلية ومن بعدهم :
الجزالة ، والقوة والمتانة ، والتركيب الفخم ، وقد سلم من
الأسلوب العلمى ، لجودة ثقافته ، وسلم من طريقة النظامين من
قبله كابن سحمان وابن مشرف لفحولته ، وصفاء مذهبه الأدبى ،
هذا إذا استثنينا بعض القصائد التى قالها متوخيا فيها السهولة ،
وقرب المأخذ للعامة لكى يفهموها ، كقصيدته اللامية التى مر
عرض مطلعها وشيء منها ، ففيها يسف أسلوبه ، حتى تتحول
بعض أبياته إلى نظم ، اضافة الى إكثاره فيها من الاقتباس

(١) الديوان : ٢٧٤ موارة : كثيرة الحركة ، سريمتها . الضبعان : الضفدان .
محكمة القراء : محكمة عظام ظهرها . أمون السرى مأمونة العثار . عبر
الهجير : تقطع الهاجرة ذمول : لينة السير . الترائب : عظام الصدر .
جسرة طويلة ضخمة . جشمت : ركبت . وخذ : سريع . ذميل سر لين .

والتضمين للحجج والأحاديث ، وهذا ليس من مذهب أهل الشعر ، لكن الشاعر قصد فيها السهولة ليستطيع بدو الإخوان فهمها . ومن الضرائر التي ينساق اليها الشاعر ، قصر الممدود وهو فيه واحد من ذلك العالم من ابن غنام الى ابن سحمان^(١) ، وتسكين ما حقه التحريك ضرورة قل ورودها في شعرهم ، لكن الشاعر اقررد بالإكثار منها^(٢) كقوله^(٣) :

تقول إلى من نطلب العرف بعدما على قاسم المعروف بنيت نصائبه

وقوله^(٤) :

هم جددوا الدين إذ خفيت معالنه وفللوا حد كسرى يوم ذى قار
وموسيقاه كلاسيكية رزينة هادئة ، في قوة وثقل ، وانسياب
يختار البحور الطويلة كثيرة التفاعيل ، ويتخير القافية الرفاعة
المقيدة التي لا تختم بالسكون ، وهو في ذلك يجارى الذوق في

(١) انظر الصفحات التالية من ديوانه : ١٤٩ و ٢٦١ و ٢٦٢ و ٣٠٣ و ٣٢٧ و ٤٦٣ و ٤٦٧ و ٤٨٧ و ٤٩٥ و ٤٩٦ و ٤٤٧ و ٢٩٥ .

(٢) انظر الصفحات التالية من ديوانه : ٨٧ و ١٥٨ و ١٥٩ و ١٧٥ و ٣٠٣ و ٣٠٦ و ٣٢٣ و ٤٨٢ .

(٣) ديوانه : ٤٤٧ .

(٤) ديوانه : ٢٩٥ ، ومثل هذه الضرائر لا تخفى على مثله فيمكن ان يقول في الاول شيدت وفي الثاني ضاعت وهو سهل التعديل ، فكيف وقع ذلك يمكن ان نستدل بذلك على انه لا يعنى بتنقيح شعره ام ان تحريفا وتصحيفا وقع في مسودات الديوان ، ام ان الشاعر يركن الى التعديل لحاجات تتصل بالنشر ، واللوق الصام الذي كان المتزمتون والإخوان يحكمونه ، لا استبعد الاسباب الثلاثة كلها .

عصره ، حيث يترنم القراء بشعره وشعر معاصريه ركبانا وقعودا
في مجالسهم ومساجدهم وقل ان تجد في شعره هسما أو ثقلا
أو نشازا •

وفي شعره الأول مديح آل ثاني وآل خليفة ورثائهم ، تأتي
المقدمة الغزلية والوقوف على الديار كثيرة لازمة كقوله في مديح
محمد بن عيسى الخليفة (١) :

ضمان على أن الفرام طويل إذا شحطت دار وبان خليل
أقول لنفسي حين جد بى الأسى نهيتك عن ذا والفريق حلول

لكنها تأخذ في الضمور ، وتحل محلها كثرة الجد والدخول
بالموضوع دون مقدمات وخاصة في المناسبات والفتوح كما قال
في فتح حائل (٢) :

منال العلا إلا عليك محرم وكل مديح في سواك مذموم

والسبب فيما يبدو نضوج الشاعر الفنى ، وجدية أكثر
المواقف التى تناولها في الأخير ، وانما يولد الشعر القوى الحب
أو الحرب •

وهو في تأثره الشعرى متأثر بمدرسة الشعر القديم من
زهير الى أبى تمام ، وأكثر شعره ينزع هذا المنزع ، ويتخذ هذا

(١) الديوان : ٣٧١ •

(٢) الديوان : ١٥٢ •

الطابع ، حاذيا حذو الركب في معناه ومبناه وخياله وأسلوبه
 محتفظا بشخصيته حيناً ، مضيعاً لها في أحيان كثار . وأوضح
 مثال لضیاع شخصيته بأثيته في فتح الاحساء ، التي أصبح فيها
 شبحاً مصلوباً فوق أبيات أبى تمام تميل به الريح ، فيختفى
 تارة ، ويظهر أخرى ، وهذه أبيات منتقاة مما ضاعت فيه روح
 الشاعر (١) :

العز والمجد في الهندية القضب لا في الرسائل والتنميق للخطب
 . . فسار من نفسه في جحفل حرد وسار من جيشه في عسكر لجب
 حتى تسور حيطاناً وابنية لولا القضاء لما أدركن بالسبب
 لكنها عزمة من فاك بطل حمى بها حوزة الإسلام والحسب

وفي قصيدته الميمية تأثر واضح بمعلقة زهير رغم اختلاف
 حركة الروى (٢) :

منال العلا إلا عليك محرم وكل مديح في سواك مذم
 وفي داليتها التي مطلعها (٣) :

تهلل وجه الكون وابتسم السعد وعاد شباب الدهر وانتظم العقد
 تأثر بدالية الحطيئة .

(١) الديوان : ٢٩ - ٣٣ حرد ، غاصب ، لجب : كثير .

(٢) الديوان : ١٥٢ .

(٣) الديوان : ٣٥٦ .

أما منزلة الشاعر بين شعراء عصره فكما يقول الغزاوي الذي عاصره واستلم شعر المديح من بعده ، إنه شاعر الجزيرة العربية في زمانه دون منازع ^(١) ، وهو حرى بذلك فهذا المستوى الشعري ، والثقافة العريضة ، التي هذبها الطبع والموهبة يجعله فوق مستوى عصره المتخبط في التقليد .

ولابن عثيمين ميزتان في الشعر أولهما : انه أول من نقل ريادة الشعر في نجد من الشعر العامي إلى الشعر العربي الفصيح ، وقد كانت ريادة الشعر من قبل بأيدي شعراء النبط ، حتى جاء ابن عثيمين فكان له من الثقافة والموهبة والأصالة ، ما أعاد به هيبة الشعر الفصيح .

والثانية : أن شعره شعر الفحولة والسليقة ، والشاعر حين استطاع تخطى عصور الإنحطاط ، من آل البهاء زهير ، وآل التخميس والتشطير والتشجير والبديع ، الى الشعر القديم جاهليه واسلاميه وعباسيه ، يعتبر رائدا في هذا المجال وهو أول من تخلص من العبث اللفظي في شعراء البلاد كلها ، من خليجها الى أحمرها . سقط بظهوره أسلوب النظامين عند القوم ، وسقط

(١) شعراء نجد : ٥٧ .

أسلوب أهل البديع ، وعادت الى الشعر ديباجته القوية ، وطلعت الصافية ، وهو كما يقول ابن إدريس بارودى الشعر في المملكة ، ووجوه الشبه بين الشاعرين واضحة فكلاهما حمل لواء التجديد في الأسلوب ، وأعاد اليه الرونق والرواء ، وإن كانت الظروف السياسية والاجتماعية أتاحت للبارودى مجالا أوسع من مجال ابن عثيمين ، لأنه شاعر فارس يهاجم الاستعمار ، ويدافع عن الحمى ، ومن مظاهر الوعي السياسي عنده ثورة عرابى ، ولهذا أبدع ووسع خاصة في الوطنية •

أما ابن عثيمين فلم يستطع في جو ملبد بالجهل والامية أن يفعل أكثر من إعادة الديباجة العباسية (١) •

لا يقلل من قيمة الشاعر أن الجيل الجديد من بعده لم يتبع مساره واتصل مباشرة بالأدب قديمه وحديثه ، دون وساطة الشاعر ، ويكفى الشاعر فضل الريادة •

(١) الشعر في المملكة في النصف الثاني من القرن الرابع عشر (بحوث مؤتمر الأدباء ٦٤٩/٢ - ٦٥٢) •

شعراء آخرون

١ - حسين بن غنام .

يعد حسين بن غنام من الفقهاء ، وعلماء العربية المتضلعين ، ومن المؤرخين الأولين ، أكثر مما يعد في دولة الشعر ، لكن ظروف نشأة الدعوة وعدم وجود شعراء يعبرون بلغتها أول نشأتها جعلت منه اللسان المدافع عن الدعوة ، طيلة قرابة ربع قرن ، فاندفع الى ذلك ، وكان في علم العربية وثقافتها وأدبها متمكنا ضليعا ، مما خوله النهوض بهذا الدور الثقيل .

ولد في المبرز إحدى بلدان الأحساء ودرس العلوم الدينية على علماء المذهب المالكي ، وضم إلى ذلك تفوقا في علوم العربية من نحو وصرف وبلاغة وأدب ، فما أن فتحت الدولة السعودية الأحساء ، حتى اقتدبه الإمام عبد العزيز بن محمد لتدريس العربية في الدرعية الناشئة ، حيث تخرج على يديه رجيل كثير من جلة علماء الدرعية ، كسليمان بن عبد الله آل الشيخ ، وحمد بن فاصر ابن معمر ، وقد كان من ثمار رحلته إلى الدرعية كتابه في تاريخ دعوة الإمام الذي أرخ فيه للدعوة والداعية وسجل رسائله ، ويعتبر مرجعا مهما لتلك الفترة ، وقد سماه « روضة الأفكار

والافهام ، لمرتاد حال الإمام ، وتعداد غزوات ذوى الإسلام »
ولكن الرجل حشا الكتاب بأسجاءه المملة مما صعب الاستفادة
منه ، حتى أن بعض الفضلاء قام بطبعه ونشره ملخصا ، مجردا
من الاسجاع (١) ، وله كتاب « العقد الثمين في أصول الدين »
مخطوط (٢) توفي عام ١٢٢٥ هـ (٣) .

ولم يجمع ابن غنام ما له من شعر في ديوان ، ولذلك ضاع
كل ماله ، ولم يبق إلا ما يتصل بالدعوة ، مما أثبتته في تاريخه ،
في النقائص ، والتهنئة بالنصر ، والرياء وحصيلة ما وجدت له
في تاريخه وغيره تسع قصائد ست في تاريخه وثلاث من مصادر
أخرى :

(١) قصيدة في انتصار الدعوة مطلعها (٤) :

نفوس الورى إلا القليل ركونها إلى الفى لا يلفى لدين حينها
(٢) قصيدة بمناسبة فتح الرياض وجلاء دهام بن دواس

(١) أسند الشيخ عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم آل الشيخ الى الدكتور
ناصر الدين الأسد تلخيصه وترتيبه وطبع الكتاب باسم « تاريخ ابن غنام »
ولست مطمئا إلى دقة التلخيص بله أن الملخص حذف اشعار المؤلف وغيره ،
التي قيلت في الاحداث ، وهى اشياء ذات قيمة تاريخية وأدبية ..

(٢) مخطوطات المكتبة العلمية (دار الافتاء) الرياض .

(٣) تاريخ الاحساء : ١٠٤/٢ ، تاريخ نجد (حوادث عام ١٢٢٥ هـ) شمراء
هجر ٥٠ .

(٤) تاريخه : ٦٧/٢ .

مطلعها (١) :

كشف الحق ظلمة الأغلاس ومحا الدين جملة الأرجاس

(٣) قصيدة تهنئة بمناسبة فتح الاحساء (٢) :

تلاّ نور الحق وانصدع الفجر وديجور ليل الشرك مزقه الطهر

(٤) قصيدة في جواب محمد بن أحمد الحفظي ، على

قصيدته في تهنئة الإمام عبد العزيز بالنصر في معركة كربلاء ،

مطلعها (٣) :

امصباح مشكاة أم الكواكب الدرّى؟ أسقط من المرجلن فصل بالدرّى؟

(٥) قصيدة في الثناء على صديقه عبد الله الكردي

ومطلعها (٤) :

حكّت أدمعى يوم الوداع الفعائم وشابه نوحى في الرباع الحمايم

(٦) قصيدة في الثناء على صديقه أحمد بن عبد الله

العبد القادر ومطلعها (٥) :

هل اللعص إلا ما حواه إزارها أو البان إلا ما أبان اهتصارها ؟

(١) تاريخه : ٨٦/٢ .

(٢) تاريخه : ٢٣٧/٢ .

(٣) نفحات من عسير : ٦٢ و ٦٦ .

(٤) شعراء هجر : ٥٤ (وشك فيها صاحب مشاعر علماء نجد : ١٨٠) .

(٥) مختارات آل عبد القادر : ١٧٠ وتاريخ الاحساء : ٦٩/٢ . الاهتمام : الفز والامالة والثنى .

(٧) قصيدة في مناقضة قصيدة محمد بن فيروز الطائية التي امتدح بها ثويني ابن عبد الله وحيا سعيه للقضاء على الدرعية ، فناقضه ابن غنام بقصيدة مطلعها (١) :

على وجهها المرسوم بالشؤم قد خطا عروس هوى ممقوتة زارت الشطا

(٨) ورثا الإمام محمد بن عبد الوهاب بقصيدة مطلعها (٢) :

إلى الله في كشف الشدائد نفزع وليس إلى غير المهيمن مفزع

(٩) وقصيدة في الرثاء مطلعها (٣) :

عين جودي بواكب هتان واسكبي عبرة من الاجفان

وقد يوجد له شعر في كتب مخطوطة وأوراق لم تنشر ، يدل على ذلك أن الكتاب الحديث « شعراء هجر » أثبت له قصيدة غير ما عرف من قبل .

وفي شعر ابن غنام تتجلى ميزتان : الأولى : ميله كسائر شعراء الدعوة إلى المطالع المجردة من الغزل والتي تناسب المقام في حرب أو سلم ، أو تهنئة ، أو تعزية ، أو رثاء ، أو هجاء ، وإذا استثنينا القصيدتين اللتين يمكن أن نعتبرهما من الشعر الشخصي ، فإن كل قصائد الرجل تمثل هذا الطابع ، كما تمثل

(١) تاريخه : ١٩٠/٢ .

(٢) تاريخه : ١٥٥/٢ .

(٣) تاريخه : ٦٧/٢ .

روح التأله التى عرفت فى شعر الدعوة ، فتجد المطلع متصلا بالله ، حمدا أو شكرا ، أو تضرعا ، أو ابتهالا •

الثانية : ان شعره يمثل روح شعراء البديع ، من عناية واضحة بالاستعارة ، والتشبيه ، والمجاز ، والتشخيص والتصوير ، كقوله (١) :

أو الفجر إلا ما بدا من جبينها أو الورد إلا ما جلاه احمرارها
أو الليل إلا من معسعر شعرها أو الخمر إلا ظلمها لا عقارها
مهة تريك الشمس طلعة وجهها إذا أسفرت يجلو الظلام نهارها

وقوله (٢) :

فاضحت به السمحاء بيسم نورها وأمسى محياها يضيء ويلمع
وأكثر شعره المعروف فى الدعوة ، وأقله فى أصدقائه ، ونادره فى الغزل •

وهو فى قيمته الشعرية ليس من الفحول ، ولا من المجودين ، بل من العلماء الذين هم إلى النظم أقرب منه إلى روح الشعر ، مهما يكن من شيء فشعره كان الوحيد الذى صور حقبة أكثر من ربع قرن من جهاد الدعوة •

(١) مختارات آل عبد القادر : ١٧٠ وتاريخ الأحصاء : ٦٩/٢ •

(٢) تاريخ ابن غنم : ٥٥/٢ •

٢ - عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ :

ذلك الرجل القوي الأشدق ، الذي قضى في مصر ٣٠ عاماً يدرس ، فجمع ما لم يحط به أهل نجد ، وعلم ما لم يعلموا خاصة في الأصول ، والجدل والمنطق ، واللغة العربية ، حتى سموه بالأزهري ، وكان الرجل حار الدفاع في سبيل ما يعتقد ، لا يفوته أتفه الأمور فضلاً عن كبارها ، وقد دخل المسجد الجامع ، أول ما عاد من مصر فسمع المشائخ يقرأون فخطأ الجميع ، فقيل من ذو العمامة الذي يخطيء علماء نجد ، فكان ذلك الرجل الذي أخذ يعلمهم كيف يقرأون القرآن مجوداً مرتلاً ، وهكذا كان في كل شؤونهم وكتاباته في شرح الدعوة والدفاع عنها صريحاً صارماً . ورسائله من أجود ما كتب أهل نجد أسلوباً وبيانا بل هو أقومهم أسلوباً ، وأفصحهم عبارة ، لا تستثن متأخراً أو متقدماً خلال هذين القرنين . يمزج ذلك بالاستشهاد بالبيت من الشعر ، والشارد من النثر ، ورسائله المطبوعة باسم « رسائل عبد اللطيف آل الشيخ » دليل واضح .

(١) عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، ولد عام ١٢٢٥ هـ (١٨١٠ م) في الدرعية ، وأجلى مع والده إثر نكبة الدرعية الى مصر (١٢٢٣ هـ) ودرس على مشائخ الازهر كالأب جوري ، ومحمود الجزائري ، وعاد الى نجد عام ١٢٦٤ هـ (١٨٤٨ م) وشارك والده في شدائد الإمام فيصل ، وانتهت اليه بعد وفاة والده الرئاسة الدينية ، وتوفي عام ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م) . انظر التذكرة ١/٢٢٠ - ٢٢٥ والدرر السنية ٦٦/١٢ وعلماء الدعوة ٤٧ - ٤٩ ومجلة العرب شوال ١٣٩٣ هـ .

وهو دون احتياط أجود آل الشيخ شعراً ، وأول من عرف عنه الشعر منهم .

أما ما وصل إلى الأيدي من شعره ، فأوله الرؤية المشهورة التي جاب بها عبد العزيز بن طوق^(١) ، ويتحدث الرجلان عن النكبات التي منيت بها الدعوة إثر سقوط الدرعية ، كما يعرض عبد اللطيف الحالة السياسية للبلاد عرضاً لا يوجد في غير هذه القصيدة ، والتي تتجاوز السبعين بيتاً ومطلعها^(٢) :

رسائل إخوان الصفا والعشائر أتتك فقابل بالمنى والبشائر

الثانية النونية ومطلعها^(٣) :

دع عنك ذكر منازل ومغان وبدور أنس قد بدت وغوان

وهي في الشكوى ووصف التمزق السياسي وجفاء الإخوان ، واختلاف العلماء ، وما نشر منها فوق تسعين بيتاً ، ولعل للقصيدة بقية .

الثالثة قصيدة رائية يرد بها على قصيدة عثمان بن منصور النجدي الذي انتصر لداود بن جرجيس ، وامتدح كتابه التأسيس ، فرد عليه عبد اللطيف بقصيدة منها^(٤) :

(١) انظر الحديث عن قصيدته في شعر البكاء والرناء والشكوى : ٥٤ .

(٢) رسائله (بخط تلميذه ابن سحمان) : ٢٢٨ - ٢٣٠ .

(٣) النرد السنية : ١٩٢/٧ .

(٤) الأصول الثلاثة وملحقاتها (مخطوطة) ٦٠ وانظر حديثاً عن القصيدتين في شعر الدفاع عن الحركة : ١٣ .

أوصف بالإيمان يا عابد الهوى دعاة إلى باب الجحيم؟ وما تدرى

الرابعة قصيدة دالية رد بها على قصيدة للبولاقي اعترض بها على أهل الدعوة وجمع عليهم بعض الحقائق والأكاذيب ، واعتبر القهوة التي يشربونها والثياب التي يلبسونها بدعة لأنها لم ترد في دين الله ، ولا عرفها رسول الله ، ورأى بدع العادات كبدع الدين (١) :

ويغلب على الذهن أن للرجل شعرا غير ذلك ، إذ لا يمكن أن يكون بمثل هذا التدفق الشعري ، وطول النفس في قصائده ثم لا يكون له إلا بضع قصائد ، ربما كانت الظروف المحيطة به وما أقساها وهو سليل أسرة المشائخ ، والعلماء يرون الشعر بضاعة المتهاونين ، فلم يرغب أن ينسب إلى الشعر ، وربما كان الرجل ينظم شعره في موضوعات يستحي منها العالم المتصدر للافتاء والقضاء والتعليم ، كالغزل ، فأثر أن يطوى خبرها .

وأغراض ما عرف من شعره في الدفاع عن الدعوة ، والشكوى ، والشعر السياسي . وأسلوبه لا يتميز بشيء عن

(١) انظر طرفا منها في الدرر السنية وله بيتان آخران انظرهما في خصائص شعر الحركة : ١٤٠ .

أقرانه من علماء نجد الذين يتناولون الشعر بروح النظم ، غير
محلّقين ولا مجودين •

٣ - ابن طوق وابن معمر :

لأجل استكمال البحث ، أعرض لرجلين عالمين قالوا الشعر ،
وهما يشتركان في أكثر من خاصية ، أولها : أننا لا نعثر لأى منهما
على أكثر من قصيدة واحدة ، والثانية أن مفردتيهما على عدم
شهرة الرجلين بالشعر ، قد كان لهما ذكر وحديث ، والثالثة أن كلا
منهما قيلت في الأيام العvisية ، قيلت الأولى في نكبة الدرعية ،
وقيلت الثانية في سقوط عبد الله بن فيصل ، والقصيدتان بعد في
مستوى شعر العصر •

قال عبد العزيز بن حمد بن معمر في نكبة الدرعية العينية
التي مطلعها (١) :

إليك إله العرش اشكو تضرعا وادعوك في الضراء ربي لتسمعا

وهو أديب فقيه ، ذو شهرة في العلم والدين توفي عام ١٢٤٤هـ

وقال عبد العزيز بن طوق ، وهو من معاصري عبداللطيف

ابن عبد الرحمن آل الشيخ - قصيدته التي يشكو فيها الزمان ،
وتقلب الأحوال ، وسيطرة الترك على الأحساء ، وقد بعث بها من

(١) سبق عرضها في شعر البكاء والرتاء ٥٢-٥٣ وهي في عنوان المجد : ٢٧/٢ ، ٢٨

الأحساء إلى عبد اللطيف آل الشيخ (١) :
رسائل شوق دائم متواتر إلى فرع شمس الدين بدر المنابر

٤ - الحفظيون :

أسرة عرفت بالعلم والفضل في عسير ، ينسبون لجدهم
أحمد الحفظي الذي عاش ما بين (١١٤٥ - ١٢٣٣ هـ) ،
(١٧٧٤ - ١٨١٨ م) الذي كان أكثر آل الحفظي تحمساً
للدعوة ، ودفاعاً عنها ونشراً لها ، وهو أكثرهم شعراً فيها ،
أثبت له صاحب النفحات عشر قصائد في الدعوة شرحاً وإشادة
ودفاعاً ، منها ما كتبه إلى إمام اليمن يدعو فيه إلى هدم القباب ،
والمزارات (٢) :

فيا أيها الحى اليماني دونكم نداء إلى التوحيد لبوا لداعيه

ومنها ما كتبه إلى أهل المخلاف السليماني يدعو علماءه
للدخول في الدعوة (٣) :

والحق أولى أن يجاب وإنما لم ادر ما حيلولة المتحيل

ويصف الإمام محمدا بقوله :

(١) مر عرض القصيدة في شعر البكاء والرناء ٥٤ - ٥٥ وهي في الدرر السنية
وفي رسائله المخطوطة : ٢٢٧ - ٢٣٠ ١٨٩/٧ .

(٢) نفحات من عسير ٦٠ - ٦١ .

(٣) نفحات من عسير ٢٣ - ٢٤ .

لا يطلب الأموال من خزانها أو يقتل الأبطال إن لم تبطل
 أو ينزع الملك المولى أوله غرض بمذهب آخر عن أول
 وله شعر في المراسلات بينه وبين علماء عصره ، وزعماء
 الدعوة في نجد .

وأحمد الحفظى الثانى الذى عاش ما بين ١٢٥٠ - ١٣١٧ هـ
 (١٨٣٤ - ١٨٩٩ م) فى عسير كغيره من آل الحفظى ، وكان
 يحمل أفكارا اصلاحية ، ونفسا مستعدة للتضحية فى سبيل الله ،
 وقد طوف الآفاق ودعا للثورة على حكم الأتراك الذين لم
 يتركوه يطعن فى ظهورهم ، وهم يعلمون انه ريب الدعوة
 الإصلاحية ، فنفى إلى الأستانة ، ورجع منها لم يتغير ، يدعو الى
 الثورة على الرجل المريض ، وقام برحلات إلى اليمن ونجد
 والحجاز ومصر ، يدعو العرب إلى احتضان الإسلام وينذرهم
 بسقوط الرجل المريض قال (١) :

ما كنت يوما أجوب الأرض فى سفري لغير مجد وإنى غير ممتن
 وأسمع الناس نصحا قبل قارعة تهدركن القوى من فعلنا الخشن
 عسى اتحاد لنا فالأرض واحدة والدين محترم عن فعل كل دن
 قد طفت فى الأرض أعواما وخضت لما فيها بحورا على البابور والسفن
 ينبعون شهرا بأرض الروم كاملة ومثلها من ربي نجد الى عدن

(١) نفعات من عسير : ١٨٦ .

لكن صيخته ذهبت أدراج الرياح كما ذهبت صيحات
معاصريه الأسكوبى ، وعبد العزيز المبارك •

وله قصيدة طريفة جيدة الخيال ، مبتدعة الحوادث ، نسجها
من بنات أفكاره ، فأربى فيها وافتن ، ولو ساعدته جودة القريحة
وصحة الاسلوب ، لكان لهذه القصيدة مكانة في أدبنا ، قص
الشاعر فيها نبأه مع رفاقه في الأسر في بلاد الترك ، إذ هم
جالسون ، وإذا بحمامة تقع في شرك صياد كما قال (١) :

مطوقة حنت بأحسن نفمة وقد حجبت عن أهلها والعشيرة

فمضى يناجيها مناجاة تختلف عن مناجاة أبى فراس لحمامته
التي تصورها خلوا من الإحساس بالألم ، مناجاة تنشق من
وحدة الشعور بينه وبين الحمامة التي تخيلت أن القوم الأسرى
يستطيعون أن يغيثوها فنادتهم ولم تدر أنهم مثلها أسرى :

ولم تدربنت الارقمين بأننا سواء على الأحوال في دار غربة

فتعجبت كيف يؤسر الكبار مثلهم وقالت : أنا ضئيلة
صغيرة ، أعذر أن أسقط في شباك الصيادين لكن ما بال
ذوى العمام من شنؤة • ويظنون مع الحمامة يديرون كؤوس
الذكرى ، هم يتحدثون عن ديارهم فيكون ، وهي تتذكر كيف

(١) نفحات من عسير : ١٦٦ والأرقم : ما فيه سواد وبياض .

ألقى بها حنوها على صغارها للبحث الطائش عن الطعام ، وإذا
هم بشيخ تركى يطلبونه وسيطا يحكم بينهم أيهم أعظم مصابا ،
فيستمع الشيخ ، ويكى بكاء حارا ، لأنه مثلهم في البلوى فقد
سجن إخوانه وسلب ماله ، ونزع من أهله ، فيبتهل الجميع في
نشيد حزين إلى الله :

فنرجو خلاصا للجميع معجلا عسى فرج يأتى بتفريج كربه
فلم تخفه الأحوال في كل امرنا ولم يخفه المظلوم في كل بلدة
وما الله عما يعملون بغافل ولكنه يملئ لهذا الخليفة

وله قصيدة يدعو فيها الناس إلى تحكيم القرآن والسنة^(١) .

وأكثر شعر آل الحفظى في نظم العلوم والمتون ، والرسائل
الإخوانية ، والمدائح النبوية ، وشرح الدعوة الإصلاحية ،
ووصف حروبها وفتوحها^(٢) .

وأسلوبهم لا يختلف عن طابع أسلوب هذا العصر أسلوب
النظم ، لا يتسم بشيء من الجودة ، وكثير منه ردىء ضعيف ،
دون مستوى شعر العلماء على ضعف شعر العلماء ، ولذلك
آثرت عدم التفصيل في الحديث عن شعرهم الوافر ، الذى يجد
فيه مؤرخو السياسة والعلم ، أكثر مما يجد دارسو الأدب .

(١) انظر شرح الفكار الدعوة : ٧

(٢) نفعات من عسر : ٢٠ - ٢٢ والكتاب عرض كامل لسيرهم ومؤلفاتهم وأخبارهم
وأشعارهم .

٥ - محمد بن بليهد :

رجل عالم عرف بسعة العلم الجغرافي لبلاد العرب ، نظم الشعر العامي والفصيح ، ولد في القرائن من الوشم بنجد ، وأخذ العلم عن علمائها كأحمد بن عيسى ، وشب ليعمل تاجرا بين البادية والحاضرة ، واتصلت أسبابه بالملك عبد العزيز ، وأولاده من بعده ، خاصة فيصل ، وعمل في مناصب مالية كثيرة ، لكنه لم يترك التجارة ، وابتلى آخره عمره بالفالج ، وتوفي بإثره عام ١٣٧٧ هـ (١٩٥٨ م) (١) :

ويحسب الرجل من العلماء أكثر مما يحسب من أهل الشعر ، وله تحقیقات جغرافية للأماكن التي وردت في أشعار القدامى نشرها في الصحف ، كان من حصيلتها تحديده مكان عكاظ (٢) : وكتاب صحيح الأخبار في (٥ مج) • وديوانه الموسوم بـ (ابتسامات الأيام في انتصارات الإمام) ، يضم شعره الفصيح والعامي ، وحديثا عن كبار شعراء النبط •

وجل شعره في المديح فله أكثر من ٥٠ قصيدة في مديح عبد العزيز ، وولديه سعود وفيصل ، وهو في مديحه طويل النفس ، كثير الإعجاب بمرائي البطولة ، حسبك انه لم يقل الشعر الفصيح إلا وهو كبير عام ١٣٣٧ هـ ، (١٩١٨ م) حين

(١) الأدب الحديث في نجد : ٥١ وهو أول من ترجم له .

(٢) الأدب الحديث في نجد : ٥٢ ولا يعترف العلامة حمد الجاسر له بذلك .

اتصر الإخوان في تربة ، فالذى فتق لسانه في مديح الملك
عبد العزيز شيء كثير يتصل بالإعجاب بالبطولة والأبطال .

وفي شعره تبدو روح الرجل الدموى ، الذى تروق له مرأى
الدماء وجثث القتلى ، لأنه يراها ثمنا للوحدة ، والأمن الذى
فقدته المجتمع زمنا طويلا (١) :

والله لا يطفىء الحزن الذى زفرت على لمته وآلم الجسدا
إلا إذا نظرت عينى مصارعهم يضحى الفناء على أوصالهم قصدا
يبقى النجيع على أرجاء دارهم حولا تقلبه الأرياح ما جمدا

وفي مديحه للملك عبد العزيز يأخذ مسارا جديدا ، لم يأت
به الشعراء من قبل ، وإن بدأ به ابن عثيمين بداية ضعيفة ،
الحديث عن مفاخر أجداد الملك عبد العزيز بدء من الجاهلية ،
الى وقعة ذى قار وهلم جرا ، وهو مسار غريب قال عن جهاد
ربيعة في الجاهلية (٢) :

لا تحسبوا قصبات السبق في مضر إلى المكارم لولا صاحب الغار

يمكن أن تقبل الأذن هذا النمط في مفاخرات جرير
والفرزدق ، إن ثقافة الشاعر القديمة ، دعتة إلى هذا النباش
الطافح الذى مهد له ابن عثيمين ، خير شعره قصيدة واحدة على

(١) الابتسامات : ٤٤ القصص : التكرار .

(٢) الابتسامات : ١١٧ .

ضعف فيها ، يرثى بها زوجته ، وقيمة القصيدة تأتي من تخطئ الشاعر للأعراف القبلية ، والعادات البدوية التي تمهد للحديث عن المرأة بـ « كرمك الله » وأعجب من ذلك ان سماها ونسبها ، وأرخ وفاتها ، وبين سبب وفاتها ، وهذا شيء غريب جدا ، ورائع أن نسمعه في هذه البيئة التي قال فيها معاصره لمن يواسونه في زوجته (١) :

وما آسى على شيء تولى وهل آسى على خلعي نصالى

قد أصبحت وتصبح المرأة عند هذا الشاعر نعلا ، أو ألل من ذلك في البيئة الجاهلية ، حيث تؤاد كرامة الإنسان ، لكنها عند ابن بليهد شيئا عظيما قرينة حياة ، ورفيقة درب يقول (٢) :

كانى والذي حجت قريش	له بين الشاعر واستقاموا
سليم ما ينام الليل طرا	وكل الناس قد هجموا وناموا
... ابنت الاكرمين أبوك هود	وجدك خالد وأبوه سام
فما منهم على البيداء باق	ولا في بطنها منهم عظام
ومن شطب إلى أكناف تيمما	مصيبات آواخرها عظام
ولكن ليس ينسينيك شيء	ولو نسيت مصائبها الانام
... بنفس ما يطيب لها شراب	على شحط المزار ولا طعام
فما لى بعد رحلتكم مراد	بتلك الدار يذكر أو يرام
فألقيت الحقائق عن ركابى	على الشعرا وساكنها السلام

(١) شعراء هجر : ٢٢٩

(٢) الابتسامات : ٢٥٤ السليم : اللديغ .

وإذا تجاوزنا هذه القصيدة فليس للشاعر ما يلفت الانتباه ،
أو يستحق التسجيل ، والشاعر في قيمته ضعيف ، من طراز ابن
تهيئة بل هو أضعف منه ، ولذلك لا نطمئن إلى ما ذكر أحد الباحثين
من أن الملك عبد العزيز أراد ندبه لتمثيل المملكة في مبايعة شوقي
بإمارة الشعر عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٧ م) ، وإن الغزاوي الشاعر
الفحل يعرض عليه قصائده قبل القائها ، وأن العواد يستضيء
بشعره (١) ، فما كان الملك عبد العزيز ليندبه ، ولديه شعراء
كبار أظهرهم ابن عثيمين ، ومنهم الغزاوي ، وإن صحت الحكاية ،
فإن عدم تمثيل الجزيرة خير من تمثيلها بمثل هذا الشاعر الذي
لم يبدأ مسيرة الشعر القصيح إلا قبل ثمان سنوات من إمارة
شوقي . أي عام ١٣٣٢ هـ ، ولا أدري بعد هل العواد والغزاوي
يستشيرانه في أمور تتصل بالشعر أم لأمور أخرى تتصل بما
يناسب مقامات المديح للملك عبد العزيز ، وما يحسن أن يقال
أو يترك ، هذا إن صحت هذه الأقوال .

(١) الأدب الحديث في نجد : ٥٠ و ٦٠ .

الفصل الثالث

سَمَات وَخَصَائِصٌ عَامَّةٌ

من السمات البارزة في هذا الشعر الحرص على المطالع الموضوعية التي تتصل بالموضوع الذي يتحدث عنه الشاعر مباشرة ، وليس يعنى هذا القول أن الشعراء أهملوا المقدمة الطللية ، بل إن المقدمة الغزلية سارت بجانب المطالع الموضوعية جنباً إلى جنب ، وكان أكثر الشعر مجافياً المقدمة الطللية ، وليس إهمالهم المقدمة الطللية فاتجا عن وعى أدبى أو حركة نقدية ، بل هو الفطرى الطبيعى ، الذى نتج عن اهتمامهم بالجد ، ومجانبتهم الهزل ، ومن هذه المطالع قول ابن مشرف (١) :

يا غربة الدين فاعجب من تغربه عند المصدق فضلا عن مكذبه

وقول حسين بن غنام في التهنة بالنصر (٢) :

تلا لا نور الحق وانصدع الفجر وديجور ليل الشرك مزقه الطهر

وقول ابن سحمان في الهجاء والدفاع (٣) :

ضلال ما يؤمله اللثام وآل لامع ذاك المرام

وقول ابن سحمان (٤) :

أرى كل ما قد قدر الله يكتب وليس عن المولى مفر ومهرب

(١) ديوانه : ٤٣ .

(٢) تاريخ ابن غنام : ٣٣٧/٢ .

(٣) ديوانه : ٢٠٢ .

(٤) التذكرة : ١٨٥/٢ .

وقال (١) :

أضرب من السحر الذى أنت ناظمه أم اللؤلؤ المنضود فى الرق راقمه ؟

وقال ابنه صالح بن سحمان (٢) :

الفخر للسيف ليس الفخر للقلم فأكتب به وأترك الأقلام كالخدم

وقال ابن عثيمين (٣) :

سفر الزمان بغرة المستبشر وكسى شبابا بعد ذاك المكبر

وقال أيضا (٤) :

أبى الله إلا أن تكون لك العقبى ستملك شرق الأرض بالله والغربا

وقال ابن بليهد (٥) :

أمر مضى حكمه من خالق البشر أصبر فقد جاءت الأيام بالعبر

وقال أيضا (٦) :

خطوا الرجال فهذا سيد العرب عبدالعزيز فما فى النفس من أرب

وحرص الشعراء على الديباجة الخالية من المحسنات التى تهتم بالتأق فى اللفظ ، وتوشيته بالمحسنات اللفظية والمعنوية .
وليس هذا يعنى الخلو من هذه الديباجة ، بل يعنى التقليل منها ،

(١) ديوانه : ٣٦٦ .

(٢) معجم المصادر الصحفية : ٥٨/١ .

(٣) معجم المصادر الصحفية ٥٨/١ الكبير : التقدم فى السن .

(٤) و (٥) و (٦) معجم المصادر الصحفية ٥٧/١ - ٥٨ .

حتى إن أكثر ما نجد لديهم من محسنات إنما هي طبيعية ، تأتي غفو خاطر ، ويستلزمها نسق القصيدة المتدفق كقول ابن سحمان (١) :

فيا محنة الاسلام من كل جاهل ويا قلة الأنصار من كل عالم
وكان نصيبهم من العبث اللفظي من تشجير ، وتشطير ،
ومعارضة ، وتعجيز وتصدير وتضمين ومجارة ، أقل بكثير مما
عند غيرهم من شعراء الجزيرة الآخرين •

ورغبوا في البحور الطويلة الكثيرة التفاعيل كالطويل
والكامل والبسيط ، وإذا استثنينا ما لابن مشرف من قصائد
في القصص والنصائح قصيرة البحور ، فانا نطمئن إلى القول
بأن كل شعر الدعوة كان مغرما بهذه البحور ، ينسج على
منوالها ، وميله إليها أثر من الروح الحماسية ، التي نفخت في
هذا الشعر ، فتوقد ، كالحمم والبراكين في وجوه معارضي
الدعوة ، يصف المعارك ، ويرثي القتلى ، ويهجم على الأعداء •

وأطالوا في القصائد ، في نفس شعري ممتد لا يتوقف ،
حتى بلغت القصائد سبع مئة بيت ، وخمس مئة ، وثلاثة مئة
أما المئة بيت فشيء كثير ، وكان لهم مجال واسع للإطالة في
المديح ، والشكوى ، والدفاع ، وشرح الدعوة وأفكارها ،

(١) ديوانه : ٢٢٤ •

وكانت ظروف الحياة السياسية والاجتماعية ملأى بالأحداث والقضايا والأفكار ، مما يجعل الشاعر يترسل ، يستمد أفكاره من معين لا ينضب ، لكن الشيء الذى أعطى القصائد أكبر حجم من الطول ، عرضها لقضايا العقيدة ، والخوض مع المعارضين في مسائل من الفقه والتوحيد ، والعقائد ، هى من أبعد الأشياء عن روح الشعر الجميل ، وابن سحمان أطول الشعراء تقسا ، كما في قصيدته التى رد بها على الملاحى ، وقد بلغت سبع مئة بيت ، وقصيدته في الرد على دحلان في خمس مئة بيت ، وغيرها (١) .

أما مضامين الشعر فإن أهم ما يستبد بالاهتمام ويستثير الإعجاب هذه الكثرة الكاثرة من قصائد الدفاع عن الدعوة ، سواء في جانبها الفكرى ، من شرح لأفكارها ، وعرض ودعوة إليها ، أو دفاع شبه أعدائها الذين نقدوها بكثير من الحيف ، وقليل من الإنصاف ، وأكثر ما قيل من الشعر في هذا الجانب ، أم في مسيرتها الحركية السياسية ، وما يتصل بها من وصف للجيوش ، والمعارك والحروب ، وإشادة بالفتوح وتهان بالانتصار ورتاء للقتلى وبكاء ، وحض للهمم على الثورة على الغزاة ونبذهم ، وقد شارك الشعراء كلهم في كل الجوانب ، الحركى السياسى ، والفكرى العلمى ، فوقف ابن مشرف وسطا فيهم

(١) انظر شعر الهجاء : ٢٣ ، وانظر ترجمة الشاعر : ٧٤ - ٧٦ .

يجمع شعره الكثير في تلك الناحيتين سواء ، وغلب على ابن سحمان الجانب الفكرى ، وغلب على ابن عثيمين الجانب السياسى^(١) ، كان ابن مشرف يشهد قوة الصراع بين أعداء الدعوة في الميدانين المتوازيين ، الدعوة والحركة ، فكان شعره متواكبا مع الجانبين ، وشهد عصر ابن سحمان قوة الصراع الفكرى مع أعداء الدعوة ، خارج الجزيرة وداخلها ، فغلب عليه هذا الجانب ، وعاصر ابن عثيمين الثورة الجديدة التى قام بها الملك عبد العزيز امتدادا للدعوة ، وكان للملك من المعارك والحروب ما يستبد بالأذهان فجاء شعر الشاعر صورة لهذه الحياة الحافلة •

وشيوع روح القوة في الشعر أمر جد طريف ، فالمتتبع لهذا الشعر يجد فيه روح الكفاح والنضال والجهاد ، والذب عن الحرمات ، وهو بذلك صورة للقوة التى استخدمت في هذا العصر الذى تشابه فيه حيوان الغابة ، وانسان القرية ، بله انسان البادية الذى جمع من البيئتين ما فيهما من قسوة وفتك واقتهاز ، كما عاصر الزعماء الذين يرون سلطانهم ينافي سلطان الله ، فرغبوا عن الإصلاح ، واستبدت بهم شهوات السيطرة والقوة والقتل • فكانت القوة في العدل علاجا ناجحا للفوضى القوية ، كما قال ابن مشرف (٢) :

(١) الحركة الادبية .

(٢) ديوانه : ١٠٠ .

ما جرد الصمصام ذو همة عند اعوجاج الأمر إلا استقام

وكان معاصرو الإمام والدعوة من العلماء والناس ، لا يرون فيها شرا ، أو انحرافا لكن يقولون نخشى من أمرائنا الذين لا يريدون أن يذلوا بعد عز ، فكان الحجاب الذى يحجب الحركة عن الامتداد ، ويدعو إلى استعمال القوة هم هؤلاء الزعماء والأمرء ، الذين لا يجدى فيهم سلطان القرآن ، إلا سلطان القوة قال ابن مشرف (١) :

فمن لم يقومه الكتاب أقامه حدود الطبا والسهمري المثقف
فهل يستقيم الدين إلا بدعوة إلى الله يتلوها سنان ومرهف ؟
وقد فرض الله الجهاد على الورى لمن كان عن نهج الشريعة يصدف

وكان هذا العصر مليئا بالفتن والقلق ، من طالبي الشهرة على حساب مجتمعاتهم ، الذين ما يجدون فرصة للوثوب أو الغدر إلا استغلوها أبشع استغلال ، كما قال ابن سحمان (٢) :

وإياك أن تفتخر منهم بمنطق لبيب فان السم قد يمزج الشهدا
ومن لم تخف منه العدا في بلادها أخافته في أوطانه وانتضت غمدا

وقال ابن عثيمين (٣) :

(١) ديوانه : ٨٣ .

(٢) ديوان ابن سحمان : ٢٨١ .

(٣) ديوان ابن عثيمين : ٢٦٥ - ٢٦٦ .

إمام الهدى إن العدو إذا رأى له فرصة في الدهر ينزو لها وثبا
ومن الجأته للصدقة علة يكن سلمه من بعد علقته حربا
فعاقب وعاتب كل شخص بذنبه فلول العقوبات استخف الوري الذنبا
فمن سل سيف البغي فاجعله نسكه ومن شب نارا فارمه وسط ماشيا
بذا يستقيم الأمر شرعا وحكمة وينزجر الباغي إذا هم أوهبا

- ٢ -

وروح الحزن والأسى نمط آخر حفل به هذا الشعر ، فجاء
شعر البكاء والرثاء والشكوى وافرا كثيرا ، وكان ذلك تصويرا
دقيقا لبعض فترات التاريخ الأسود ، الذي عاشه إنسان هذه
الدعوة ، في بعض الظروف ، ولم يكن هذا الشعر شعر اندحار
وانهزام نفسي ساحق ، بل كان يمثل روح المؤمن الصادق ، بين
الخوف والرجاء ، يؤمن بالقدر خيره وشره ، وأن ما أصابه لم
يكن مخطئا له ، لكنه لا يستسلم أو ييأس ، بل يظل فاتحا قلبه
يرجو من الله كل خير ، قال ابن سحمان (١) :

فنج وابلك واستنصر بربك راغبا إليه فان الله أرحم راحم
لينصر هذا الدين من بعد ما عفت معاملة في الأرض بين العوالم

وقال عبد العزيز بن حمد بن معمر (٢) :

(١) التذكرة : ٢١٤/١ .

(٢) عنوان المجد : ٢٧/٢ - ٢٨ .

الا ايها الإخوان صبرا فإننى
ولا تياسوا من كشف ما ناب إنه
وما قلت ذا أشكو إلى الخلق نكبة
عسى وعسى أن ينصر الله ديننا
أرى الصبر للمقدور خيرا وأنفعا
إذا شاء ربى كشف ذاك تمزعا
ولا جزعا مما أصاب فأوجعا
ويجبر منا اليوم ما قد تصدعا

وتفاعل الشعر مع أحداث الأمة ، في السراء والضراء ،
فصور المعارك الطاحنة ، والفتن الكارثة ، وصور القتلى ،
واليتامى والأرامل ، ودخل غمار الحياة الفكرية غير وان أو
مقصر ، وصور فساد الحكم وصلاحه ، وقوة الحاكم وضعفه ،
وكان جريئا في أغلب أطواره ، وصور ما يلاقى الآمنون من ويلات
هجمات اللصوص ، والأعراب والغزاة ، وفي غمار ذلك نسى
الشعراء ذواتهم ، فلا نجد من حديثهم عن أهلهم ، وأقاربهم ، بل
وأقْسَمهم إلا القليل^(١) ، وكأنما وهبوا أنفسهم للدفاع والجهاد ،
ورأوا الحديث عنها شيئا ثانويا ، لا ينسى أن إنسان هذه الصحراء
قد اعتاد التكتّم ، والسكوت ، والغموض عما يتصل بحياته
الشخصية ، فأى إنسان تلقاه من أى بلاد الله شرقها ، وغربها ،
يفتح لك حقيقة معلوماته الشخصية ، ويريك صورته وأولاده ،
ويحدثك كثيرا عن نفسه ، لكن رجل هذه الصحراء اعتاد
الغموض ، فلو سألتَه عن اسمه لغيره ، ومن أين لورى ، ومن هو

(١) كما نجد في شعر ابن سحمان ، ديوانه : ١٥٦ وانظر ديوان ابن بليهد :

لكنى ، ولم يصرح ، وهو طبع من صفات أهل الصحارى والقفار ، فلم يكن الحديث عن شؤون النفس بالحسن المقبول في بيئتهم ، ولهذا جانبه الشعراء ، وهم بشر لا ينفصل عن هذه الصحراء ، رغم ثقافتهم وعلمهم .

ولم يصور الشعر كثيرا من عادات المجتمع وأحواله ، وتقاليده ، مما اعتدنا أن نسمعه من الشعراء ، أو نحس به من خلال قصائدهم ، باديا أو على خفاء ، ولعل الشعراء الذين شغلهم الحرب والسلم ، والدفاع ، والخصام والدعوة ، والهجاء ، لم يكن لهم من الوقت ما يكفى لأى شيء آخر .

- ٣ -

ولما كانت حياتهم جهادا وجدا وعملا ، اتسم شعرهم بالجد وجانب الهزل ، فكان له حديثا عن التقاء الأقران ، وتلاحم الصفوف ، وتنهائى الفتوح ، وشرح مضامينهم الجديدة ، فلم يفرغوا لمجالس السمر ، والمنادمة ، ووصف الرياض الزاهية ، ومظاهر الحياة البهيجة في الطبيعة والحيوان والإنسان ، حتى رسائلهم الشعرية فيما بينهم لم يكن همها الحديث عن الشوق ولواعجه ، والبعد ومصاعبه ، ومرارة الهجر ، ولوعة الفراق ، كانت جدا كحياتهم التى لم يكن لها من الفراغ ، ما يتيح لأموال الحياة الماتعة المترفة ، ان تتسرب الى قلوبهم ، يستنصر فيها الأخ

أخاه يطلبه مواساته في بلية تصيب ، أو مشاركته لحمل أمانة
ثقيلة ، قال عبد العزيز بن طوق في رسالته إلى عبد اللطيف بن
عبد الرحمن (١) :

مصاب يكاد المستجن بطيبة ينادى بأعلى الصوت: هل من مشابر؟
فجد لي برد منك تبرد لوعتي ويحدى به في كل ركب وسامر
وتنصر خلا في هواك مابعدا ولولاك لم تعبت به أم عامر

وقال عبد اللطيف في رسالته إلى سعد بن عتيق (٢) :

يا سعد إنا لنرجو أن تكون لنا سعداً ومرعاك للزوار سعدانا
وأن يضر بك الرحمن طائفة ولت وينصر من بالخير والانا

ومن أجل هذه الجدية ، خلت أشعارهم من الغزل ، إلا ما كان
مطلعا تقليديا ، عبده الشعراء الأولون ، وسار فيه المتأخرون ،
وعلى إقلالهم منه فإن الشاعر كثيرا ما يعتذر عن غزله ، بأنه لم
يقله إلا مجاراة ، وإلا فهو لا يفرغ لمثل هذه الأمور ، قال ابن
عشيمين يتنصل من الغزل (٣) :

مضوا بيدور في بروج أكلة بهن حليم القلب يصبو وجاهله
وزعت الصبا لما علا الشيب مفرقى وودعته توديع من لا يجامله
وفئت إلى رشدي وأعطيت مقودي نصيحي فهمها قاله أنا قائله

(١) الدرر السنية : ١٨٨/٧ ، ولعل مشابر تعريف عن مناصر .

(٢) الدرر السنية : ١٨١/٧ .

(٣) الديوان : ١٢٨ .

ويقول أيضا (١) :

تلك العهد التى ما زلت اذكرها فكيف لا والذي اهواه سمارى
استغفر الله لكن النسيب حلى يكسى بها الشعر في باد وفي قار

وأياً ما كان الباعث على ذلك ، فانه يدل دلالة قوية على ضмор
هذا الجانب ، ورغبتهم عنه ، وغزلهم ما وجد منه كان غفيفا لا يكاد
يبين عن شيء من شهوات الجسد الضارية التى تقتحم قصائد
الآخرين •

وليس لهم في الترف جانب ولا لسان ، فلم يكن حديثهم
فيه ، ولا اليه ينزع وهم الذين عاشوا أغلب فترات حياتهم ، في
صراع عنيف ، لا يهدأ في مكان إلا ليثور في مكان آخر ، بله حياة
الشفط والخسونة التى كانت في أغلب هذه الفترات •

وعدم وجود شعر المجون واللهو ، فلا بذئياً من اللفظ ،
ولا ساقطاً ولا سخيلاً من الأفكار والعادات ، فلن تجد أى شيء
من شعر الخمرة ، أو الغزل الفاسق ، أو الغزل بالغلمان ، أو
التهتك في شيء من الأشياء ، مما قد تجده في شعر معاصريهم
وخاصة في الحجاز ، حيث أمشاج شتى من المذاهب منها الصوفي
الناسك ، والأبيقورى المتهالك ، والجنسي الصريح •

(١) الديوان : ٢٩٣ •

أما الروح الدينية فالحديث عن أثرها واسع طويل ، نكتفى منه بما دل وقل .

وأول ما نجد من طابعها افتتاح القصائد بالحمد والشكر ، للذي أعطى ومنح ، قال محمد الحفظى يهنئ الإمام عبد العزيز في نصر يوم كربلاء (١) :

أتانا بشير الخير بالفتح والنصر فشكرا لك اللهم في السر والجهر
وقال ابن بليهد (٢) :

لك الحمد اللهم ما لاح طالع وما هل من ودق الفمامة هامع

أو بالتضرع اليه ، واللجوء في الشدائد والمصائب ، وهو خير وكيل كما في مطلع حسين بن غنام في رثاء الإمام (٣) :

إلى الله في كشف الشدائد نفزع وليس إلى غير المهيمن مفزع

وقال عبد العزيز بن حمد بن معمر (٤) :

إليك إله العرش أشكو تضرعا وادعوك في الضراء ربي لتسمعا

(١) نفحات من عسير : ٦٣ .

(٢) معجم المصادر الصحفية : ٥٧/١ .

(٣) تاريخ ابن غنام : ١٥٥/٢ . وعنوان المجد : ١٠٥/١ .

(٤) عنوان المجد : ٣٧/٢ ، ٣٨ .

ويتحدث الشاعر عن أعدائه فيتصورهم أعداء لأنهم خالفوا سنة الإسلام ، فعكفوا على القبور ، وأهملوا أركان الإسلام ، وحكموا قوانين البشر ، وحين تنزل المصائب لا يتخوف منها الموت المحقق به بل يتخوف أن يذل الدين رجل فاجر ، قال عبد العزيز بن معمر (١) :

عسى وعسى أن ينصر الله ديننا ويجبر منا اليوم ما قد تصدعا
ويعمر للسماح ربوعا تهدمت ويفتح سبلا للهداية مهيعا
ويظهر نور الحق يعلو ضياؤه فيضحي ظلام الشرك والشك مقشعا

ويمدح العلماء يشيد بجهادهم ، وأقلامهم التي أفناها البرى ، ومحاربهم التي أنضبتها الكتابة ، ودفاترهم التي قضى عليها بذلها في سبيل الله ، لايضاح الحجج ، وهداية الناس .

ويمدح الزعماء بأنهم يخافون الله ، ويقفون عند حدوده يتبعون ما قال الله وما قال رسوله ، وينتضون سيوفهم مدافعين عن بيضة الدين ، ويرجو لهم سلوك النهج الأفضل في سياسة الرعية (٢) :

عسى أن نراها سيرة عمرية يدين لها غرب البلاد ومشرق
ووسائل الدينونة ، وعذاب الآخرة ، ونعيمها أشياء تناوبها
القصائد للتخويف والرجاء والدعاء ، قال حسين بن غنام (٣) :

(١) عنوان المجد : ٣٧/٢ ، ٣٨ .

(٢) ديوان ابن عثيمين : ١٢٤ .

(٣) الدرر السنية : ١٠٧/٧ .

نفوس الورى إلا القليل ركونها إلى الفى لا يلفى لدين حينها
فسل ربك التثبيت أي موحد فانت على السمحاء باد يقينها
وعريك في بيد الضلالة سائر وليس له إلا القبور يدينها

لقد غاص الدين في أعماق القوم ، حتى امتزج بالأرواح ،
والقلوب والعقول ، فصارت الجوارح منه تبدأ واليه تعود ،
حتى دخل التصور الفكرى ، مما جعل شاعرا كابن سحمان
يتحدث عن قضية قد تكون تافهة وعادية ، لكن الشاعر يستنبط
منها شيئا لا يفتن اليه في هذا الموقف إلا من قوى ايمانه ، وصح
دينه ، أكل الذئب عناقا لأخيه ، فضل ينجيه ، ويسأله كيف خان
العهد ، ونكث الإيمان ، على طريقة الفرزدق (١) :

أقول للذئب السوء لما سألته وقد طال قيل بيننا وعتاب
غدرت وكان القدر منك سجية فجوزيت شرا واعتراك عذاب
أكلت عناقا أرصدها لديهمو ولم تخش غب القدر وهو يهاب
فهل لك في نقض الهود مسوغ وقد كان غدر بالعهود يعاب ؟

وهنا يربى على الفرزدق باستخلاص الفكرة من القصة ،
وتحميل الذئب الأفكار التى تنبض بها خلجات قلبه نحو الدين
والأمة :

(١) ملتقى الانهار ١٨١ وليست في الديوان .

فقال : نعم إن الذناب جميعها عليكم تحامت والجميع غضاب
فقلت : أهل عما مضى أنت راجع وهل لك في العهد القديم اياب؟ (١)
فقال : نعم إن راجع الناس دينهم وتابوا إلى مولاهم وانابوا
وحامت عن الدين القويم حماته وقدم منه سنة وكتاب
هنالك لا خوف عليكم وأنتم لكل الذناب العاديات صحاب

ومن أجل قوة الروح الدينية في مضمون الشعر ، كثرت
الألفاظ الدالة عليها : من الإسلام ، والدين والكتاب ، والإيمان ،
والكفر ، والجهاد والقرآن ، والسنة ، والبدعة ، والعلم والجهل ،
وصفاتها كالمؤمن والمجاهد وشيوع هذه الألفاظ نتيجة طبيعية
لشيوع مضامينها •

(١) وكلمة أهل تحريف لعل أصله : فهل .

الفصل الرابع

الشعر في نجد

تأخر ظهور الشعر الفصيح في نجد عن ظهور الدعوة الإصلاحية ، ولذلك نجد الشعراء الأوائل الذين واكبوا أصداءها وأفكارها قد هاجروا إلى نجد لإقامة طويلة أو قصيرة خاصة من الإحصاء البيئة العلمية ، والشاعرية الخصبة فابن غنام انحصائي ، وكذلك خلفه ابن مشرف ، أو هاجروا من غيرها كابن سحمان الذي انطلق من الجنوب ليسد هذا الفراغ الذي لم يمتلئ بشاعر نجدى .

ولذلك أسباب أولها : الأمية الحرفية والفكرية ، التي جعلت الشعراء البارعين يظهر على مسرح الشعر الشعبي ، دون الشعر الفصيح كمحمد القاضي وابن جعيثن والهزاني ، وابن لعبون ، ونحوهم من الشعراء الكبار الذين غدتهم نجد بلبانها ، وطبعتهم بصحراويتها .

الثاني : أن هناك شعراء ذهبوا في غمار الحياة ، وزحمة الأحياء ، فقد كان الشاعر النجدي المطبوع بين حالتين لا ثالث لهما : إما أن يكون جاهلا أميا ، فلا عليه أن يكون نبطيا ، يقول ما يشاء من طيب الكلام ومرذولة ، وإما أن يكون متعلما مثقفا ، والثقافة هناك لها صلة بالدين ، بل هي الدين والتدين ، والشعر

في بعض البيئات الدينية سيطرت عليه خرافة الشيطان ، وزعموا
أنه يزرى بأهله كما قال الشافعي :

ولولا الشعر بالشعراء يزرى لكنك اليوم اشعر من لبيد

أو كما قال خالد بن عبد القادر الأحسائي (١) :

والله لولا أن يقولوا شاعرا والشعر يزرى بالفتى الرباني

حسبك أن خير من أنجبت نجد من الشعراء في الجيل الماضي
ظل في صراع طويل مع نفسه ، يريد أن يكون شيخا عالما من علماء
الدين ، وتريد طبيعة الحياة أن يكون شاعرا لأنه خلق شاعرا .

والذين يقولون الشعر في نجد الماضية يستحيون منه وإن
كان في الزهد وأمور الخير ، فقد درج زمن ونحن نقراً هذه
القصيدة على أنها لأحد خدام علماء المسلمين ، الذي آثر كتمان
اسمه ، فإذا بمصدر مطبوع بين أنها لم تكن لأحد خدام المسلمين ،
بل كانت لإمام المسلمين عبد العزيز بن محمد بن سعود .
والقصيدة من وسط شعر القوم وما منع الرجل من الانتماء إليها ،
إلا ما في البيئة من حظ الشعر الرديء ، قال من القصيدة (٢) :

هدانا به بعد الضلالة والعمى وانقذنا بعد الفواية بالرشد

(١) مختارات آل عبد القادر .

(٢) انظر القصيدة في الدرر السنية : ٧٨/٢ وانظر نسبتها الى الامام في النسخة
القدسية : ٣١ (وقد أرسلت القصيدة ضمن رسالة من الامام إلى محمد بن
احمد الحنفلي صاحب النسخة القدسية) .

حباونا وأعطانا الذى فوق وهما وأمكننا من كل طاغ ومعتد
وأيدنا بالنصر واتسقت لنا مما لك لاتدعو سوى الواحد الفرد

ومن ذلك تتبين أهمية الدعوة في إدخالها الشعر الفصيح
في أجواء نجد التى ركعت لقيود العامية ، حقبا طوالا ، سواء في
الشعر أو في النثر .

ثم جاءت طبقة الشعراء النجديين متأخرة وهى صورة
للصراع بين القديم والجديد ، فتجد الشاعر يبدأ شاعرا عاميا ،
ثم يتحول إلى شاعر يقول الفصيح ، فهو مزدوج الشعر يمثل
عصره كل تمثيل ، كما نجد لدى زعيم الشعر النجدي محمد بن
عثيمين ، ومعاصريه كابن بليهد وأحمد البسام ، وقبلهم كان
أحمد بن محمد السديري ، شاعرا عاميا له قليل من الشعر
الفصيح ، وكذلك بعض شعراء القضاة ، وهذه الطبقة تمثل المرحلة
الانتقالية .

وحين نأخذ في بيان وتعداد الشعراء وأوليتهم فان قصيدة
الإمام عبد العزيز هى أول قصيدة^(١) ، ثم عبد العزيز بن حمد بن
معمر في قصيدة رثاء الدرعية ، وعثمان بن سند في شماتته
بالدرعية ، وبعدهم أحمد السديري وعبد العزيز بن طوق ،

(١) هناك قصيدات ضعيفة ، وبويات قليلة ، قيلت قبل عبد العزيز بن محمد
ابن سعود لا قيمة لها .

وعبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ ، وعثمان بن منصور ،
ثم تتسع الدائرة بظهور ابن سحمان ومعاصريه ولاحقيه كحسين
ابن نفيسة ، وابن عثيمين وابن بليهد ، وآخرين كأحمد البسام
وناصر بن عبد العزيز بن حسن .

وقد مر الحديث عن ابن سحمان ، وابن بليهد ، وابن
عثيمين ، وابن طوق ، وابن معمر ، وعبد اللطيف آل الشيخ في
شعراء الدعوة ، ونأخذ الآن في شعراء نجد من أعداء الدعوة ،
أو ممن لم يكن لهم شعر يضمهم إلى شعراء الدعوة .

- ٢ -

١ - عثمان بن سند :

وعثمان بن سند البصري ، أول هؤلاء وأشهرهم ذكرا
خارج نجد ، ورغم أن هذا الرجل كتب في التاريخ والتراجم
ثلاثة كتب إلا أنه نسي نفسه ، فتاه فيه المؤرخون ، ولد عام ١١٨٠ هـ
وهاجر إلى البصرة ، وتوفي في بغداد سنة ١٢٤٢ هـ أو قبلها
بقليل أما كونه نجدى الأصل من قبيلة عنزة فلا ريب ، فأين
ولد ونشأ ؟ يقول الأثرى محمد بهجت في مقدمة مختصر مطامع
السعود إنه ولد في فيلكة من أعمال الكويت^(١) لكنني أرجح

(١) نقلا عن تاريخ شرقي الجزيرة في العصور الحديثة : ٢٦ والترجمة منه
أيضا ما عدا تصحيح نسبته الى نجد .

أنه نجدى مولدا ونشأة ، اضطره اصطدامه بالدعوة وغلبتها عليه إلى الفرار من نجد ، كما فر من الأحساء محمد بن فيروز ، وقصيدته في التشفى من نكبة الدرعية ، وقتل رجالها ، وتحريق نخيلها ، وهدم مبانيها ، وتشريد أطفالها ونسائها شر تشريد ، لا يمكن أن يقولها معاصر دفعه خلاف فقهي لخصام أو جدال ، لا سيما وحادث الدرعية كان يستحق العطف من الأعداء والأصدقاء ، للوحشية المنافية للإسانية التي ارتكبتها الجناة ، وليس هذا دليلا كافيا ، إن الألوسي وهو أعرف دون شك بابن سند ، والألوسي شيخ الأثرى يقول في غاية الأمانى ما نصه : « قال ابن سند أحد سكنة العراق من علماء نجد » ^(١) والعبارة صريحة في أن الرجل من أهل نجد ، ومن علمائه وأنه مهاجر إلى العراق ، ونجد في ذلك الوقت محددة المعالم ، وليس الكويت جزءا منها لا في القديم ولا في الحديث .

وليس في المصادر النجدية أى شعر لابن سند ما عدا مطلع قصيدته في التشفى من نكبة الدرعية ^(٢) :
لقد فتحت للدين أعينه الرمد لدى لاح من بين السيوف له السعد
وله قصيدة يشم منها أنه قالها في هجاء ، أوردا على من تنقصه وأزرى به ذكرها الألوسي في غاية الأمانى ^(٣) :

(١) غاية الأمانى : ١٥٢/٢٠ .

(٢) ديوان ابن مشرف : ٥٠ و ٥١ .

(٣) غاية الأمانى : ١٥٢/٢ .

يا معهد الزئغ لا حياك مبتكر من السحاب ضحوك البرق منهمل
ولا انبنى فيك فسطاط السعود ولا اقيم فيك لأبكار الرضا كلل
ولا عدك البلى في كل آونة حتى تزول الجبال الشم والقلل
إذ أنت دمنة خبث طالما رتعت فيه من الحمر الأهلية الهمل
من كل من خبثت منه ضمائره إذا انقضى دخل منها أتى دخل
راى خيار الورى طرا فجانبيه كذا يجانب أرباب العلا السفل
وصار يرميهم منه بكل هجا وما على البدر لو أزرى به طفل
.. فلا وربك ما يزرى بشمس ضحى اعابها الجدى أم قد عابها الحمل

وله شعر منشور في كتبه التاريخية ، ومنها سبائك العسجد ،
في أخبار أحمد نجل الأزرق ، أحد أثرياء الكويت ، ومطالع السعود
بطبيب أخبار الوالي داوود ، وقد ألّفه بطلب من والي بغداد داوود
باشا (١) ، والسحب الوابلة في طبقات الحنابلة .

٢ - عثمان بن منصور :

رجل آخر رفض دعوة الإمام ، وآزر أعداءها له نشاط قوى
وشهرة ، لذلك نرى عبد اللطيف بن عبد الرحمن يفرد به بكتاب
أسماء مصباح الظلام في الرد على من خالف الشيخ الإمام ، يفند

(١) يقول د. مصطفى أبو حاكم في كتابه « تاريخ شرق الجزيرة العربية في
العصور الحديثة » : ٦ (في معرض الكلام عن أهمية الكتابين التاريخيين)
« ان استخلاص الحقائق التاريخية من كلامه ومن مؤلفاته المليئة باشعاره
أمر عسير » وللكتابين أهمية أخرى في عرضه لسير معاصريه من علماء وأدباء
وقد طبع كتاب مطالع السعود مختصرا بقلم أمين حسن الحلواني المدني
في بمباى عام ١٣٠٤ هـ ثم في القاهرة وطبع سبائك العسجد أيضا في بمباى .

فيه آراءه ، ولعبد اللطيف أيضا شعر في الرد عليه ، ولا بن مشرف
أيضا رد عليه ، ولا ندرى من اسمه إلا أنه عثمان بن عبد العزيز
ابن منصور من بنى تميم ، وكان معاصرا لعبد اللطيف بن
عبد الرحمن ، وصديقا لداوود بن جرجيس ، ويبدو أنه كان
مقيما بنجد لم يهاجر فراراً من ملاحقة أعدائه له ، وربما كان
ذلك في فترة ضعف الحكم السعودي ، وكل هذه المعلومات
مأخوذة من قصيدته المخطوطة ، المليئة بالتصحيف والتحريف .
يقول منها (١) :

سرت من ربي نجد تجر ثيابها معطرة الأردن كالنفى المشرى
من الخل عثمان التميمي نظمها على نقض زيف من طعام صدى وكر

فالنفى المشرى ، وطعام ، وصدى وكر كلها عبارات محرفة ،
وربما كانت طعام محرفة عن طعام .

ويبدو أن رجال الدعوة لا يتركونه يشتمهم في عقر دارهم ،
بل كانوا ينفصون عيشه ، فقى رد عبد اللطيف بن عبد الرحمن
تهديد وفتوى بقتله (٢) :

رأيت بها ما يستباح بمثله على ناظم سل المهنة البتر

وبينما الرجل يعاضد أعداء الدعوة نجد له من الشعر

(١) الأصول الثلاثة وملحقاتها (مخطوط) : ٦٠ .

(٢) الأصول الثلاثة وملحقاتها (مخطوط) : ٦٠ .

ما يمدح به آل سعود • ويشيد بنصرتهم للدين ، فهل كان هذا المديح قبل بدءة الخصومة بينه وبين العلماء ، أم أنه في مديحه ، يداجي القوم ويتقى شرهم ، قال في مديح تركى بن عبد الله (١) :

ترى لابن عبد الله تركى صولة توارثها من والد الخير تعرف
وعم وجد قوما الدين بيننا محمد مع عبد العزيز المخلف
.. جوارهم عز ورفدهم غنى وبأسهمو ذل لمن يتخلف

- ٣ -

١ - حسين النفيسة :

حسين بن على بن نفيسة من ضرما بلدة غرب الرياض ، عاش في القرن الرابع عشر ، وتوفي حوالي عام ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م) (٢) : شاعر تقليدى من هامته إلى إبهامه ، له ديوان مطبوع لم يتأت الإطلاع عليه ، وهو في حكم المفقود ، وأكثر المراجع إثباتا لشعره التذكرة ، التي أثبتت له ما يقارب عشر قصائد (٣) وأثبتت له درر المعاني واحدة أيضا (٤) ، والشاعر يعني بالأغراض التقليدية

(١) عنوان المجد : ٦٥/٢ - ٦٦ - .

(٢) قال ابن ادريس انه توفي منذ عشرين عاما (الشعر في المملكة خلال النصف

الثاني من القرن الرابع عشر - بحوث مؤتمر الادباء الاول : ٦٥٥/١) .

(نشر البحث عام ١٣٩٤) .

(٣) التذكرة : ٥٨/٢ و ١١٢/٢ و ١١٧/٢ و ١٠٨/٢ و ١٤٧/٢ و ١٥٢/٢

و ١٧٤/٢ و ١٨٥/٢ .

(٤) درد المعاني : ٢٢٨ - ٢٣٠ .

من مديح ورثاء وغزل ، وقد مر عرض نصين له في مديح آل سعود (١) ، ورثاء عبد الله بن خاطر (٢) ، وقد عني عناية فائقة بالمقدمة الغزلية ، وهو الوحيد من شعراء هذا العصر الذي يلح عليها ، وجميع قصائده في التذكرة من هذا النمط يقول (٣) :

قفا وابكيا يا صاحبا من تقدما وعوجا على الأطلال ثم توسما
هل الدهر ابقى للمنازل آية وهل من مجيب بالجواب يجبكما ؟
فإن قال : هذا ربع احبابنا الأولى فجودا بماء العين حتى ولو دما
عفا لا عفا من كل بكر مليحة ولا زال مأنوسا ولا زال منعما
فعهدى به فيما مضى بهجة لنا وعهدى به السمار والبيض كالدمى

وهو يلزم هذه المقدمة حتى في أغراض الرثاء ، كما في الميمية هذه ، وقد رثى بها أحد العلماء ، وكما في قصيدته في رثاء عبد الله ابن خاطر (٤) :

سقى الله هاتيك الربوع بها طل من الدلو لا يخلو مدى الدهر يطر
عهدت بها الحى الجميع فأصبحت طيور النوى تشدو بها ثم تصفر
سليما من الأحزان لمت فألت وهل هيج الأحزان إلا التذكر ؟
فما لى وما للهو إن شاب عارضي وغال سواد الرأس شيب مبكر
ذرينى وما قد كان منى صباة وبكى فان الرزء أدهى واكبر

(١) انظر شعر المديح : ٢٥ - ٣٦ .

(٢) انظر شعر البكاء والرثاء : ٦١ .

(٣) التذكرة : ١١٢/٢ .

(٤) التذكرة : ١١٧/٢ .

هذه التقليدية الواضحة في شعره ليس لها من سبب إلا عدم
تفاعله مع أحداث الدعوة الجديدة ، ويبدو أن الرجل ممن أثر
السلامة ، والترداد على الخليج العربي للمديح والوفادة ،
يستجير بأمرائه من وهج الصيف اللاهب في عالية نجد كما قال
في مديح عبد الله بن خاطر (١) :

فمن مثله للوافدين مؤمل إذا اجذبت أوطانهم ثم اعسروا

وهو مثل شعراء المديح التقليديين يركز على وصف الممدوح
بالكرم والبذل والعطاء ، وهذه التقليدية ليست من طابع شعراء
الدعوة ، ولذلك آثرت وضعه في شعراء نجد ، وعلى كل حال
فإن هذه الأحكام قابلة جدا للأخذ والنقض لاعتمادها على قليل
من شعره .

٢ - أحمد البسام :

شاعر من أسرة البسام المعروفة في عنيزة بنجد ، جاب
الآفاق ، من أطراف البحر الأبيض إلى شواطئ الخليج العربي
بحثا عن لقمة العيش ، عاش خلال النصف الأول من القرن
الرابع عشر ، وهو يمثل المرحلة الانتقالية في جمعه بين الشعر
العامي والقصيح ، كمعاصريه ، وشعره تقليدي يتركز في الحكمة
والأخلاق ، والرثاء لنوويه ، والشكوى ، ووصف الرحلة ، وفيه
نأمة الدعوة إلى النهضة والإصلاح ، وتلك أثر من رحلاته

(١) التذكرة ١١٧/٢ .

الواسعة ، له كتاب مطبوع أسماه « النديم » جمع فيه شعره
العامى ، والقصيح ، وطائفة من الأخبار والمقالات ، ومن شعره
يصف يوم الفراق ، وقد جرى إثر مالك بن الربيع (١) :

صفا العيش لى فيهم ثلاثين حجة بأطيب ما كان الزمان صفاليا
إلى أن دهتنا النائبات بفرقة وأقصت دواهى البين منا الأ دانيا
... وفي بلدى المألوف أم وأخوة يعز علي لا أراهم أماميا
وما أنس لا أنسى التى قد تركتها تفيض دموعا حين حان وداعيا
وقالت وقد زفت من العيس جسرة: حنائيك لا تنفك تطوى الفيافيا
ولم أنس ما عند الرحيل وصالح يهيج بكاء ذاب منه فؤاديا
ترحلت عنهم ساعيا في صلاحهم أجوب الفيا في سهلها والروابيا

(١) النديم : ١١٢ و ١١٣ .

المصادر والمراجع

- الاتجاهات الشعرية المعاصرة في نجد • دراسة • حسن فهد
الهيمل • رسالة ماجستير ١٣٩٤ هـ (مخطوط) •
- الأدب الحديث في نجد • د. محمد بن سعد بن حسين
١٣٩١ هـ •
- تاريخ شرقي الجزيرة العربية • د. مصطفى أبو حكمة •
- الشعر في المملكة العربية السعودية في النصف الثاني من
القرن الرابع عشر • عبد الله بن إدريس • بحوث مؤتمر الأدباء
السعوديين ج ٢
- تاريخ الأحساء (تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في التقديم
والجديد ، القسم السياسي ١٣٧٩ هـ • والقسم العلمي والأدبي
١٣٨٢ هـ • محمد بن عبد الله العبد القادر الأحسائي •
- معجم المطبوعات العربية السعودية • أبحاث •
علي جواد الطاهر • مجلة العرب ١٣٩١ هـ - ١٣٩٢ هـ •
- تاريخ نجد (روضة الأفكار والافهام) • حسين بن
غنام ١٣٦٨ هـ •
- تاريخ نجد (عنوان المجد في تاريخ نجد) • عثمان بن
بشر ١٣٧٣ هـ •

التذكرة (تذكرة أولى النهي والعرفان بأيام الله الواحد
الديان وذكر حوادث الزمان) • ابراهيم بن عبد المحسن بن عبيد
• مج ٤

الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية • د. بكري
شيخ أمين ، ١٣٩٣ هـ •

الدرر السنية في الأجوبة النجدية جمع عبد الرحمن بن
قاسم ١٢ مج •

ديوان ابن بليهد (ابتسامات الأيام في انتصارات الامام)
• ١٣٧٠ هـ

ديوان الخليفة (شاعر نبطي قطري) ١٣٨٣ هـ •

ديوان ابن سحمان (عقود الجواهر المتعددة الحسان)
• ١٣٣٧ هـ

ديوان ابن عثيمين (العقد الثمين) • جمع وتحقيق
سعد بن عبد العزيز الرويشد •

ديوان بن مشرف • مطبعة السنة المحمدية • د. ت •

رسائل عبد اللطيف آل الشيخ بخط سليمان بن سحمان •
المكتبة العلمية • دخة بالرياض (مخطوط) •

شعراء نجد المعاصرون • دراسة ومختارات • عبد الله
ابن ادريس ١٣٨٠ هـ •

شعراء هجر • عبد الفتاح هارون الطلو ١٣٧٩ هـ •

غاية الأمانى في الرد على النبهاني • محمود شكري
الألوسي • مطابع نجد التجارية • د. ت •

قصائد وثقائض بين شعراء الدعوة ومهاجميها (مخطوطة)
المكتبة العلمية • دخنة • الرياض تحت رقم ٤٥٩ / ٨٦ و ٦١٠ /
٨٦ و ٦٤٧ / ٨٦ •

علماء الدعوة • عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ
١٣٦٨ هـ •

نقحات من عسير • ديوان شعر من قصائد آل الحفظي جمع
محمد ابراهيم الحفظي ١٣٩٣ هـ •

النديم • خواطر • وديوان من الشعر العربي ، وديوان من
الشعر النبطي • أحمد بن صالح البسام ١٣٧٧ هـ •

أحاديث خاصة أو هاتمية مع الأستاذين : عبد الله بن
ادريس وسعد بن عبد العزيز الرويشد •

الفهرس

الموضوع

رقم الصفحة

الفصل الأول

الموضوعات (٥ - ٦٢)

٧	شرح افكار الدعوة
٩	شعر الدفاع عن الحركة
٢٣	شعر الهجاء
٣٢	شعر المديح
٣٩	وصف المعارك والفتوح
٤٢	الشعر السياسي
٥١	شعر البكاء والرثاء والشكوى

الفصل الثاني

الشعراء (٦٣ - ١٢٨)

٦٥	أحمد بن مشرف
٧٦	سليمان بن سحمان
٩٠	محمد بن عثيمين

١١٢

شعراء آخرون

حسين بن غنام ، عبد اللطيف آل الشيخ ، ابن طوق
وابن معمر ، الحفظيون ، محمد بن بليهد .

الفصل الثالث

سمات وخصائص عامة (١٢٩ - ١٤٥)

- ١٣١ الحرص على المطالع الموضوعية
١٣٤ طول القصائد
١٣٥ كثرة شعر الدفاع عن الحركة
١٣٥ الدعوة الى القوة
١٣٧ شيوع الحزن والبكاء
١٣٩ البعد عن الهزل واللهو
١٤٢ قوة الروح الدينية

الفصل الرابع

الشعر في نجد (١٤٧ - ١٥٩)

تمهيد

عثمان بن سند ، عثمان بن منصور ، حسن
النفيسة ، أحمد البسام